

مكتبة الحياة
عاطف عمارة
هل أنت عبقري؟
اختبر نفسك وتعلم
الطرق السهلة لاكتساب
العبقرية

مكتبة الحياة

عاطف عمارة

هل أنت عبقري؟
اختبر نفسك!
وتعلم طرق
اكتساب العبقرية

الناشر
المكتب العربي للمعارف

اسم السلسلة : مكتبة الحياة

اسم الكتاب : هل أنت عبقري؟

اسم المؤلف : عاطف عمارة

تصميم الغلاف : محمود حمدي

المكتب العربي للمعارف

١٠ شارع الفريق محمد رشاد حسن -

خلف عمر أفندي - ميدان الحجاز - مصر الجديدة

ت: ٢٦٢٣٧١٧٣- ٢٦٢٣٧١٧٣ فاكس : ٢٦٢٢٥١٢٨

بريد ألكتروني : malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

عمارة ، عاطف

هل أنت عبقري؟اختبر نفسك وتعلم طرق اكتساب العبقرية / عاطف عمارة.

- ط١ .- القاهرة : المكتب العربي للمعارف ، [٢٠٠٨]

٩٦ص ؛ ١٧×٢٤سم .

تدمك . ٩ ٥٥٠ ٢٧٦ ٩٧٧

١-العبقرية

أ . العنوان

١٣٥,٩٨

رقم الإيداع :٢١٤٤٥/٢٠٠٨

الترقيم الدولي :- I.S.B.N 977-276-565-9

مقدمة

ظلت العبقرية أمدًا طويلاً من الدهر.. من أكثر الأمور المحيرة للعقول.

ورغم أن العبقرية ذاتها ظاهرة إنسانية من الظواهر العقلية التي يتمتع بها الإنسان ويتميز بها عن سائر الكائنات الأخرى، إلا أن العقل الإنساني نفسه قد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة "الخارقة"، وقد حيره أمرها طويلاً، فراح يحاول إيجاد شتى التفسيرات لها وهو يشعر بضخامة تلك الظاهرة وتضاؤل قدرته أمامها، فنسبها إلى الظواهر الخارقة حينًا أو إلى كل ما هو خارج عن المألوف حينًا آخر.

لهذا تعددت تفسيرات وتعريفات العبقرية، وتنوعت بتنوع خصائص وميدان التعريف نفسه، بل تطورت تلك التفسيرات بتطور العقل الإنساني واتساع ميادين المعرفة الإنسانية وتطورها، واقتضى الأمر زمنًا طويلاً حتى تتخلص "ظاهرة العبقرية" مما أحاط بها من الأوهام والخرافات التي أخرجتها من نطاق الظواهر الإنسانية وألحقتها بالظواهر الغيبية التي لا تفسير لها سوى القوى الخفية.

فالعبقرية من ألصق الظواهر العجيبة بالإنسان، والإنسان نفسه رغم التقدم المعرفي الهائل الذي توصلت إليه البشرية عبر العصور مازال يمثل تحديًا عظيمًا للعقل الإنساني.

صحيح أن هناك تعريفات كثيرة للإنسان، وإحاطات معرفية واسعة المدى بتكوينه البيولوجي ووظائفه الفسيلوجية الأمر الذي يجعل من الجسد الإنساني ميدانًا معلومًا لنا بكل دقائقه وتفاصيله، لكن الإنسان ليس مجرد هذا الجسد، حيث أن الإنسان هو الكائن المتكامل المتكون من الجسم ووظائفه مضافًا إليها الشخصية أو الذات أو الكينونة، ولكها

مسميات لتكوينات نفسية منبثقة من الجسد نتيجة لنشاط ووظائف الأعضاء البيولوجية.

وصحيح أن معارفنا وعلومنا المتقدمة تضم علمًا للنفس تكثر مدارسه وتتنوع ويحاول كل منها أن يقدم لنا التفسير العلمي للإنسان من خلال نشاطه النفسي، لكن يجب أن نقول إن أغلب هذه المدارس النفسية لم تقدم لنا عن الإنسان سوى مجموعة هائلة من الافتراضات والتخمينات والاستنتاجات القائمة على ملاحظة السلوك، فالنشاط النفسي لا يمكن الإمساك به ولا يمكن دراسته إلا بعد تجسده في صورة سلوكية محددة قد تدل على النشاط الداخلي، أي أننا ندرس النفس منعكسة في مرآة السلوك، وما يصل إلينا إذًا من النفس ليس أكثر من الشبح الذي ينطبع على المرآة. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن الإنسان مازال أعجز الكائنات عن معرفة نفسه رغم أنه يعرف كل شيء عن الكون وموجوداته والقوانين التي تحكم الوجود والطبيعة.

فإن كان هذا هو شأن الإنسان فمن البديهي أن تظل ألصق الظواهر بنشاطه العقلي أو الذهني على قمة قائمة الظواهر المثيرة للتساؤل والدهشة، وأن يظل العقل الإنساني متحيرًا في محاولة إيجاد التفسير الصحيح لهذه الظواهر ومنها العبقرية.

ومن البديهي أيضًا أن تتنوع التغيرات وتختلف وتتضارب وتتصارع فيما بينها، ومن البديهي أيضًا أن يكون للخرافة والوهم والخيال نصيب من المساهمة في محاولات التفسير المتعددة.

لكن رغم كثرة التفاسير الخاصة بالعبقرية، يبقى التفسير العلمي هو التفسير الوحيد الصحيح الذي ينطبق تمامًا على الظاهرة المدهشة المعروفة بالعبقرية، ورغم ذلك يرى هذا التفسير أن العبقرية ليست أكثر من ظاهرة إنسانية.

وإذا كانت العبقرية ظاهرة إنسانية فمعنى ذلك إنها ظاهرة لا أسباب لها سوى القوى العقلية والنفسية في الإنسان، وهي ظاهرة لا تتصف بالعمومية الشديدة التي يضفيها عليها لفظ (الإنسانية) إذ ليس كل البشر عباقرة؛ لأنهم ليسوا جميعًا على درجة واحدة من الذكاء والنبوغ والتفوق وإن كانوا جميعًا يولدون بنفس القدرات العقلية أو النفسية، إذ الفضل في ظهور العبقرية هو تنمية تلك القوى والقدرات؛ أي تنمية الشخصية.

العبقرية -إذن- ظاهرة تتسم بالذاتية والفردية إلى جانب اتصافها بالإنسانية، وهي ظاهرة ترتبط بنمو الشخصية؛ فالشخصية ونموها وتطورها هو من عبقرية العبقري.

لكن لماذا تصل بعد الشخصيات إلى النبوغ والعبقرية دون غيرها؟

الحق أنه لا يختلف الإنسان عن سائر الحيوانات الأخرى في أي شيء سوى الشخصية، فجميع القوى والميزات التي يملكها الإنسان يملكها الحيوان، بما في ذلك العقل والذكاء.

أما الشخصية المتفردة التي تميز الكائن عن بنى جلدته فهي الشيء الوحيد الذي يميز بني البشر، بل يميز الإنسان عن الإنسان، الفرد عن الفرد، ومعنى هذا التفرد هو إلغاء التطابق التام بين بني البشر، حتى لو جمعهم المجتمع الواحد أو العقيدة الواحدة وقبل ذلك النوع الواحد، والشخصية هي التي تلغى هذا التطابق وتحفظ للإنسان هويته الفردية وكيانه الإنساني. فلا يكون مجرد (كائن اجتماعي) أو مجرد عضو في مجتمع مثله مثل أي عضو في خلية نحل أو مجتمع نمل لا يمكن التمييز بين أفراده.

ووجود الشخصية في الإنسان من أدلة رقيه وتميزه عن الحيوان، وهي تميزه عن الحيوان؛ لأنها سبب التفرد والهوية والكينونة الفردية

فيه، لكن قبل ظهور هذه الكينونة التي تبنيها الشخصية الإنسانية لذاتها لم يكن الإنسان سوى مجرد ذلك "الكائن البيولوجي" الذي ورث عن والديه بعض الاستعدادات الفطرية والميول، ونتيجة للوظائف الفسيولوجية (وظائف الأعضاء) في الكائن البيولوجي يظهر النشاط العقلي والنفسي الذي يتجه إلى هدف وحيد هو اكتساب الكينونة الذاتية وفقاً لنموذج مثالي للشخصية يتبناه الإنسان بعد تصوره أو تخيله.

"التخيل" –إذن– من أهم العوامل التي تساهم في بناء الكينونة ويدخل فيه التصور والتمثل، وهو كذلك من الوسائل التي تستخدمها الكينونة في تحقيق إمكانيتها وذاتيتها، بل في تحديد بنية علاقاتها مع العالم والغير.

والتخيل جزء لا يتجزأ من الإرادة؛ لأنه جزء لا يتجزأ من العقل نفسه، فكلما ارتقى العقل ارتقى الخيال وارتفعت معه قوّة التصور، وكلما ارتقى التصور ارتقى الوعي والشعور.

هناك –إذن– صلة عظيمة بين الرقي الإنساني والخيال والإرادة، فالخيال والإرادة القوية في الإنسان هما من أهم عوامل الإبداع والتحضر وصناعة الحضارة، فلكي يتحقق للإنسان الرقي الفعلي، عليه أن ينمي إمكانياته وقدراته وملكاته النفسية والعقلية وعلى رأسها الخيال وقوة الإرادة، والشخصية التي تفتقر إلى الخيال والإرادة شخصية جافة تفتقر إلى الحياة بسبب جفافها وجدبها وعجزها عن الخلق والابتكار والإبداع؛ لذا فهي شخصية تفتقر إلى التميز والتفرد، شخصية تقليدية، محدودة النجاح، مهما كان نجاحها، أما عظماء البشر فترجع عظمتهم وعبقريتهم إلى التفرد والتميز والخيال وقوة الإرادة.

والمعنى: أن عظمة الإنسان الحقة وعبقريته الحقيقة تكمن في تحقيقه الفعلي لمعنى الإنسانية الحقة، وهو أن يحقق الرقي نفسه.

ذلك أن جميع البشر لا يهتمون بذلك ويحبون حياتهم الاجتماعية في مجتمعات ترتد بهم إلى الحيوانية؛ لأنها تلغي عوامل التفرد والنبوغ والتميز وتعرقل نمو الشخصية وتطورها وتمسخ استقلالها.

إن النشاط النفسي والعقلي في الإنسان يتجه نحو الإبداع والبناء، نحو الكينونة، لامتلاكها وتحقيقها في استقلالية، أي نحو الإبداع بداية من "إبداع الذات" الفردية وانتهاء بإبداع الوجود وقيمته المعنوية والمادية، لكن الحياة الاجتماعية –في عالمنا– تحول بين هذا الاتجاه ومساره الصحيح، وترتد بالإنسان من التميز والتفرد إلى حياة البشر العاديين.

إن النمط الجمعي للوجود المجتمعي يعرقل (تبلور) النشاط النفسي والعقلي في الإنسان، أي يعيق تطور الشخصية ويعمل دائمًا على تغيير مسارها التطوري ليمنع من الوصول إلى هدفها الأخير وهو الانتقال من التبلور إلى التجوهر، أي من الرقي والانتقال من الشخصية المتبلورة إلى الذات المتجوهرة، فأغلب المجتمعات القائمة على الهويات الجمعية تمنع هذا التطور العقلي – النفسي فتظل الشخصية الإنسانية بين افرادها ممسوخة غائبة في الهوية الجمعية، أي فاقدة للتفرد عاجزة عن التبلور ومن ثم التجوهر والاستقلال.

تميز الشخصية واستقلالها –إذن– من أهم شروط العبقرية، أي من أهم شروط تحقيق الرقي الإنساني ونجاح الحياة في الوصول إلى غايته، وهي تحقق ذاتها وفقًا لناموس التطور، وتجوهر شخصيات الأفراد شرط أساسي لنهضة المجتمعات إذ يستحيل ظهور العبقرية في الشخصيات الضعيفة أو الممسوخة أو حتى الشخصيات العادية التقليدية.

ولا أظن أننا نهتم كثيرًا في مجتمعنا بأساليب تربية الطفل أو الشاب الموهوب الذي أظهر نبوغا مبكرًا، سواء على مستوى الأسرة

أو التعليم، بل يمكننا أن نقطع بالقول أن أساليب التربية والتعليم في مجتمعنا مازالت قاصرة حتى عن تأهيل وتعليم الصغار والشباب العاديين فضلاً عن أن تكون قادرة أو مستعدة لتعليم الموهوبين والعباقرة.

وهذا القصور التعليمي يرجع -أساسًا- إلى تناقض المواد التعليمية وعدم كفاءة المناهج وعجز التعليم عمومًا عن تحقيق الأهداف العامة للمشروع النهضوي منذ فجر النهضة الحديثة في مجتمعنا وحتى يومنا هذا.

ولا نعتقد أن التعليم يمكنه القيام بمهمته المطلوبة على أفضل وجه قبل التخلص من تلك الازدواجية المقيتة التي تكرسها المواد والمناهج التعليمية والتي تحول أساسًا بين الطالب وبين التفكير العلمي السليم.

من هنا تأتي أهمية الدعوة إلى الاهتمام بالطفل الموهوب أو الشاب النابغ، وتأتي أهمية الدعوة إلى تزايد الأبحاث عن العبقرية والنبوغ ومعوقاتهما في مجتمعنا والشروط اللازمة لتنميتها باعتبارها من العوامل الهامة الدافعة للمجتمع على طريق النهضة والتطور.

لذا كان من الأهمية القصوى أن نشير إلى الأخطاء الشائعة في فهم العبقرية، وهي أخطاء شائعة في المجتمع القائم على الهوية الجمعية أكثر من المجتمعات المتقدمة؛ ولذا كان من الأهمية كذلك أن يقوم بنقد النظريات المفسرة لظاهرة العبقرية تفسيرًا عنصريًا يكرس الاستعمار والاستغلال بين الشعوب، فمازال التفسير الذي يربط بين الجنون والعبقرية يجد رواجًا في أوساط بعض العلماء وليس لدى العامة فحسب، لكننا نجد على غير هذا النحو أن الجنون الحق هو "تجميد الوجود الذاتي الحي المتوتر" في نمط متجمد، ثابت، غير خاضع للتطور وغير قابل للنمو، على أن جنون تنميط الوجود الذاتي أو

الجمعي يجد له عدة أشكال في عصرنا، لكنها تنتهي جميعًا إلى نفس النتيجة وهي وضع المزيد من الأغلال التي تكبل انطلاق القدرات الذاتية للإنسان والتي يعتبر انطلاقها شرطًا أساسيًا لتحقيق العبقرية.

إن الذين يلجؤون إلى تفسير الظواهر الطبيعية أو الإنسانية بالأوهام والخرافات هم أبناء البيئة التي يحكمها الجنون التنميطي الذي يهدف إلى تنمية البشرية وطمس الهويات الفردية وضمها في هويات جمعية غير متمايزة باسم "السعادة الإنسانية" أو أوهام "المجتمع الكامل"، وأبناء هذا المجتمع يقتلون الإنسان باسم الحياة أو باسم الإنسان نفسه!!

ويشارك في هذا الجنون أنصار التفسير الفسيولوجي لظاهرة العبقرية كما سنرى؛ لأنه تفسير عنصري يجعل السيادة بين الشعوب مخصصة لشعب معين بحجة تفوقه الوراثي عن سائر الشعوب الأخرى، أو يجعل التميز والتفوق والنبوغ محصورًا في عنصر أو عرق أو لون من البشر مما يبرز استغلال المتميز والمتفوق وراثيًا لغير المتفوق مسألة شرعية لها مبررها الوراثي!!

وعلى النقيض من ذلك نحن نقول بأن العبقرية اكتساب يتحقق بتنمية المواهب والقدرات الفعلية للإنسان، وأن جميع البشر يملكون تلك القدرات والملكات، وأن شرط ظهور العبقرية هو تنمية تلك القدرات والمواهب، ونحاول في هذا الكتاب أن نقف على معنى العبقرية، وأن نوقف القارئ معنا على صفات العبقري والصلة التي تربط بين الشذوذ أو الخروج على المألوف وبين العبقرية، ومن ثم نحاول كذلك أن نرسم الملامح العامة للشخصية العبقرية والوسائل التي تعتمد عليها تلك الشخصية في إبراز خصائص تميزها ونبوغها سواء كانت تلك الوسائل ذاتية سيكلوجية تستند إلى مميزات خاصة يمكن اكتسابها أو كانت وسائل خارجة عن نطاق الاكتساب والقدرات الذاتية مثل "الإلهام" النابع في الغالب عن القوى الغيبية.

ومن أهدافنا أيضًا أن نضع القارئ أمام مجموعة من الاختبارات الخاصة التي يمكنه بها أن يحدد قدراته ومواهبه الذاتية حتى يتمكن بعد ذلك من التقدم النفسي بخطى أسرع نحو اكتساب العبقرية؛ لأننا نؤمن بأن العبقرية من الأمور التي يمكن اكتسابها بتنمية المواهب والقدرات الخاصة للإنسان "الفرد"، ونؤمن أيضا أن العبقرية ليست حكرًا على مجموعة من الناس دون غيرهم، وأن بإمكان أي إنسان أن يحقق تلك العبقرية فيما لو تعرّف على نفسه ومواهبه وقدراته الحقيقية وحرص على تنمية تلك المواهب والقدرات في ضوء معرفته بالشروط اللازم تحققها في الشخصية العبقرية.

عاطف عمارة

الفصل الأول

من هو العبقري؟

عادة ينظر الناس إلى العبقري من زاوية الشذوذ، أي من زاوية اختلافه هو عنهم، فالشذوذ العبقري يقصد به غالبًا ارتباط العبقرية بكل ما هو خارج عن المألوف أو مغاير للمتفق عليه بين الناس.

والواقع أن العبقرية لا تظهر في الأفراد المستسلمين للمألوف أو المتعارف عليه بين الحشد (المجموع) إذ العبقرية بما هي نبوغ فائق أول شروطها تحقق الشخصية المستقلة عن المجموع، ويلي ذلك التمييز التدريجي لهذه الشخصية نتيجة شمول رؤيتها ومواقفها عن الحياة وكل ما فيها من أفكار ونظم وأعمال.

فالتمرد على الواقع والمألوف والكائن بالفعل أو المتعارف عليه من أهم سمات الشخصية العبقرية التي يحركها دائمًا شهوة عارمة للابتكار والتجديد، والهدم وإعادة البناء، والنقد والإبداع.

وغني عن القول إن الموقف الثوري أو الطابع المتمرد للعبقري هو ما يدفعه إلى التميز عن "الحشد" وأنه لولا هذا التميز لماتت عبقريته وسط الجموع المتشابهة غير الناقدة وغير المبدعة، والمستسلمة لما ولدت عليه في المجتمع من أفكار ومعارف ونظم وسلوكيات وأنماط في الفكر والمعرفة.

وبسبب هذا الطابع الثوري التمردي ينظر الناس (الحشد) إلي العبقري من زاوية الشذوذ والخروج عن المألوف، وهم يعتبرونه شاذاً أغلب الأحيان، وكثيرًا ما يصفونه بالجنون لخروجه عن المألوف ومخالفته لهم في كل شيء في حياتهم مها كبر أو صغر.

ومع ذلك يجب أن نميز في رؤية الحشد للعبقري بين الجنون المصاحب للعبقرية، وهو الجنون الذي نعنيه هنا، وبين جنون آخر يطلق علي المرضى بالفعل، فالجنون الأول يجد لدى العامة تقديرًا ودهشة لارتباطه بالعبقرية، وهو لا يعني أكثر من النبوغ أو التميز الفائق عن الجميع.

أما الجنون المألوف فهو ما يطلق على أنواع مختلفة من المرض العقلي ينظر إليه غالبًا بتهكم أو اشمئزاز، وكأن "الضمير الجمعي" لكل جماعة من الناس قد ارتضى لنفسه مجموعة من المبادئ والقيم والبنى الفكرية والاجتماعية يعتبر الخروج عنها جنونًا من كثرة ما يتواضع الناس على تلك الأفكار ومن كثرة ألفتهم لها وبناء حياتهم عليها، وهم في ذلك يخضعون للتكرار والتعود والآلية والروتين الذي يحيل الحياة الجمعية إلى "نمط متجمد" يخضع لقواعد وأفكار مسبقة تعد من المسلمات الثابتة التي يجب الحفاظ عليها والتمسك بها لحفظ الحياة والمجتمع معًا.

أما العبقري فهو يأتي إلى الدنيا بنهم شديد إلى التهام المعرفة والبحث عن الحقيقة، وهو لا يقبل كل ما يقدم إليه من الأفكار، مهما كانت، على أنها من المبادئ المسلم بها أو الحقائق القاطعة، إذ لا حقيقة مطلقة تعلو على الشك أو النقد والبحث. ولولا هذا الإيمان لما تقدمت المعارف والعلوم الإنسانية أو الطبيعية، فالواقع والبشر الذين يضعونه تحكمهم قوانين أميل إلى الثبات والاستقرار والتعود والجمود والخضوع لما هو كائن ومعترف به، أما العبقري فتحكمه قوانين أخرى مختلفة تمامًا.. قوانين أميل إلى النقد والتحرر والتمرد والتطور والمرونة والتجدد والإبداع والطموح اللا محدود.

ولولا تمرد العبقري على البيئة التي ولد ونشأ بها لما تطورت تلك البيئة أو تقدمت، وبهذا المعنى يصبح العبقري هو الصانع الحقيقي للحضارة باعتباره الإنسان الأوحد الثائر على "النمط الثابت للحياة".. النمط المعترف به والذي يعتبره "الحشد" الخروج عليه خروجًا عن المألوف أو شذوذًا عن العرف والتقاليد.... إلخ.

وهو الإنسان الوحيد القادر على التغيير والتجديد وقلب المفاهيم وكشف الأخطاء وتحديد الحقائق من خلال الثورة على القديم أو الثابت أو المألوف المعترف به، فالتطور الرهيب في المعرفة الإنسانية عبر العناصر الرئيسية التي تساهم في بناء الحضارة وهي الدين والعلم والفلسفة والفن هو تطور يضعه رجال عباقرة، والعباقرة وحدهم هم من يملكون القدرة على الإبداع والتطوير والتجديد في هذه الميادين وليس أحد سواهم.

ولأن الاهتمامات الرئيسية لهذه الميادين لا تشغل سوى العقول الكبرى فإن العبقرية ذاتها قد ارتبطت بالذكاء الخارق للعادة، وأيضًا بما يتصل به من اختلاف في أنماط التفكير العبقرية عن نمط التفكير السائد في مجتمع ما.

وفي بعض الأحيان ترتبط العبقرية بقوى غيبية ميتافيزيقية في أذهان بعض الشعوب، أو في مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر البشري، ويُعزى تفسير العبقرية في هذه الحالة إلى تلك القوى الغيبية التي تلهم العبقري وتوحي إليه بإبداعه، والعرب أميل الناس إلى هذا التفسير الغيبي للعبقرية، فهم ينسبونها إلى الجن أو الملائكة، أو جماع المخلوقات الروحية التي تلهم العباقرة.

ومن هنا كانت بين العبقرية والقوى الغيبية الخارقة للطبيعة صلة تجعل العبقرية ذاتها متضمنة لجوهر غامض غيبي غير بشري، أي فائق للطبيعة والمألوف، وحتى لفظ "العبقرية" عندهم في أصلة يشير إلى أحد الوديان القديمة في الصحراء الغربية وهو "وادي عبقر" الشهير الذي لا يسكنه سوى "الجن" والذي لم يكن ليذهب إليه سوى الشعراء أو الكهان للاستعانة بالجن في التنبؤ بالغيب أو قرض الشعر أو ما إلى ذلك من الأمور التي يحتاج فيها الإنسان إلى مدد من القوى الغيبية، ثم

توسع العرب بعد ذلك في معنى العبقرية ولم يقصروها على التنبؤ والشعر وإنما اشتملت عندهم على كل غامض وخارج عن المألوف أو عظيم الصنع حتى قالو بالعبقرية عن الأشياء المصنوعة كالسجاد والآنية والبسط والثياب الموشاة في قرية عبقر باليمن، فكل ما وجدوا فيه المبالغة نسبوه إلى عبقر ونعتوه بالعبقرية.

وقبل العرب ربط اليونان والرومان بين العبقرية والقوى الغيبية، وكلمة "جنياس" التي تعبر عن العبقرية في الإنجليزية اليوم مشتقة من أصل كلمة "جنياس" اللاتيني التي استخدمها الرومان قديمًا لتدل على معنى (الروح) الخالق والحافظ للحياة، وكان لكل شيء من الجمادات والكائنات الحية والبشر مثل هذه الروح الحارس.

وعلى مر العصور تطور تفسير العبقرية وتحرر من المعنى الغيبي وتجاوزه، إلى المعنى العقلي أو الفسيولوجي أو الاجتماعي أو جماع هذه العناصر، فالعبقرية هي أولا وأخيرًا جماع الموهبة والاستعداد الفطري والإبداع والخلق الرفيع والروح الناقد المتمرد والشخصية المتفردة والذكاء والقدرة على حل المشكلات.

ومن المعروف أنه لكي نصف الشخص حقًا بالعبقرية فلابد أن يتصف بجملة من الصفات نذكر منها:

*** الذكاء الخارق:**

فالذكاء من أهم خصائص العبقرية، بل الذكاء الخارق للعادة؛ لأن الذكاء يتوافر لدى كثير من الناس مع التفاوت في الدرجة، فمن الناس من هم دون الحد المتوسط للذكاء، ومنهم من يتجاوز هذا الحد بقليل، ومنهم من يتصف بالذكاء الحاد (النابغ)، ولكن هذه الدرجات من الذكاء تقف دون الذكاء الذي يجب أن يتوافر في الشخصية العبقرية وفقًا للمقاييس التي حددها علماء النفس لدرجات الذكاء المختلفة بداية من

الدرجة السفلى (البلاهة) وحتى أقصى درجات النبوغ التي لا يفوقها في الذكاء سوى درجة العبقرية.

فالعبقرية ليست مجرد الذكاء الفائق على ما هو شائع، بل الذكاء لا يتعدى كونه مجرد أحد العناصر المشاركة في صنع وتكوين العبقرية، وهو على ذلك من أهم هذه العناصر.

***الموهبة المتميزة:**

لابد لكل عبقري من موهبة "متميزة" إلى جانب تفوقه الذهني عمومًا ونبوغه الفائق في شتى المجالات، فالذكاء وحدة لا يكفي، والشمولية المعرفية لا تكفي كذلك، إذ لابد من التخصص في نوع محدد من أنواع العلوم أو الفنون تحدده الاستعدادات الخاصة للعبقري بحيث تتميز الشخصية العبقرية في هذا النوع دون غيره وفقًا لمواهبها واستعداداتها عن سائر أقرانها من المختصين في نفس الميدان.

وأغلب العلماء والعباقرة كانوا على علم شامل يتصف بالموسوعية في مختلف ميادين العلوم والمعرفة، لكنهم لم تظهر عبقريتهم إلا في مجال تخصصهم الذي كرسوا كل موهبتهم وفقًا لميولهم واستعدادهم، وهكذا نبغ "أنيشتين" في الفيزياء على وجه الخصوص رغم إلمامه واهتمامه بسائر العلوم الأخرى وعلى رأسها الفلك والرياضة وغيرها.

وما يقال عن "أنيشتين" يقال على سائر العلماء والفلاسفة وأهل الفنون، فلابد إلى جانب الذكاء من الموهبة، وغني عن القول إن الموهبة "المتميزة" تختلف كثيرًا عن المواهب العادية التي يملكها أهل الذكاء المتوسط أو غير العباقرة من أنصاف المواهب في شتى مختلف ميادين المعرفة والفن.

يجب -إذن- أن نفرق بين موهبة عادية يملكها الجميع في ميدان من الميادين ويصاحبها درجة من درجات الذكاء قد تؤدي إلى تفوق

صاحبها في مجاله، وبين "موهبة متميزة" مصحوبة بذكاء خارق وثقافة موسوعية تؤدي إلى إظهار العبقرية في مجال معين والنبوغ في ميادين مختلفة إلى جانب التخصص الأصلي.

*** التحليل:**

وهو خاصية من خصائص العقل اليقظ المتفوق، وأداة من أدوات الذهن المتفوق يستعين بها العبقري في سائر جوانب حياته الذهنية والعملية، وتستخدم هذه الأداة في حل المشكلات بأسرع ما يكون وفقًا للمنطق العقلي الخاص بالتحليل والذي يُعنى بالأولويات والأصول والأسس دون الفروع أو التفاصيل غير المهمة، وغالبًا ما يكون "الأهم" هو الهدف الذي يتوخاه العبقري في تحليله للموضوعات والمشاكل أيًّا كانت. والمقصود بالأهم هو "الأصل" أو الجذر أو المبدأ الأساسي في الموضوع أو المشكلة، على أن التحليل الصحيح لا يبدأ من التسليم بأي معطيات (معلومات) خارجية مسبقة عن الموضوع المدروس، بل يبدأ بمناقشة هذه المعطيات وتحليلها ونقدها للتأكد من مدى صدقها أو بطلانها، يلي ذلك مرحلة أخرى يطرح الافتراضات البديلة للمعطيات التي تم نقدها ثم اختبار تلك المعطيات الجديدة للتأكد من صدقها أو بطلانها، والغاية الأخيرة من التحليل هي حل المشكلات أو البحث عن الحقيقة.

*** قوة الإرادة:**

وهي صفة من صفات العبقرية تنطوي على عدّة صفات ضمنية منها: الإصرار والتحدي وعدم الخنوع أو اليأس والاهتمام الدائم بالهدف الأول والأخير الذي تضعه الشخصية العبقرية نصب عينيها ولا تغفل عنه لحظة.

فحياة العبقري سعي دائب ومتواصل لتحقيق هذا الهدف وهو "تحقيق الذات" العبقرية عبر اهتمامات العبقرية ذاتها، سواء كانت هذه الاهتمامات تتضمنها العلوم الطبيعية أو الإنسانية أو الفنون. والعبقري في الغالب لا يعترف بالطرق المتعارف عليها لتحقيق الذات أو الوصول إلى الأهداف، وهو قبل ذلك لا يعترف بالدلالات التي تحملها المعاني المتداولة بين العامة وقد يسخر من تلك المعاني القابلة لاكتساب دلالات ربما تكون غير مطابقة للمعنى الحامل لها، وهذا التناقض الذي يتبدى بعد ذلك في السلوك البشري لا يكاد يلتفت إليه أو يهتم به سوى العباقرة.

وما دام الهدف الأول والأخير هو "تحقيق الذات العبقرية" فالعبقرية لا تهتم بشيء آخر سوى هذا الهدف نفسه، فهذا الهدف نفسه هو ما يظل العبقري مجتهدًا لتحقيقه أثناء عمله طوال حياته، وخلال أي موضوع يهتم به، بصرف النظر عن النتائج الخارجية أو وجهة نظر الناس مهما كانت سلبية أو إيجابية.

*** الإبداع والتجديد:**

وهما من أهم خصائص العبقرية الأصلية فالعبقرية الحقة هي التي تضيف إلى العالم كل جديد وتثريه وتضيف إلى غناه بوجودها الذاتي وإبداعها، فوجود العبقري في الحياة إضافة حقيقية للحياة ذاتها، ووجوده مكسب للوجود الإنساني، بل إن وجوده قيمة من أعظم القيم التي يجب أن تهتم بها الشعوب طالبة الحضارة والتقدم.

على أن الإبداع والتجديد يجدان دائمًا مصدرهما في الموقف الحاسم القاطع الذي تتخذه العبقرية من العالم، وهو موقف يضع العالم كله موضع الشك حينًا وموضع النقد حينًا آخر، وهو موقف يؤكد

استقلال الشخصية العبقرية في بناء عالمها الذاتي وأفكارها في شتى الميادين، إذ هي شخصية لا تقبل من الأفكار المسبقة إلا ما تم إخضاعه للنقد والتحليل وتم التأكد من صحته، ولولا هذا الموقف الحاسم الرافض لقبول كل ما هو "واقع مسبق" لما كان للإبداع العبقري أي وجود في عالمنا.

ولما كان القانون الذي يحكم "الواقع والحياة" هو قانون التغير والتجدد والتطور والنمو والإبداع، فالبحث عن كل جديد هو أحد هموم العبقرية التي لا يفتأ يحملها العبقري ولا يتنازل عنها إلا بتحقيقها في الواقع بالفعل عبر الإبداع والتجديد العبقري الذي هو سر تميز وتفرد الشخصية العبقرية، بيد أن العبقري نفسه يدرك أن موت عبقريته يكمن في الركون أو التوقف عند نقطة إبداعية معينة يصل في مرحلة من مراحل حياته إذا هو اكتفى بما توصل إليه من إبداع فعلي ولم يحاول تجاوزه بالنقد أو الإضافة، لذا فإن "التوتر" من أهم خصائص "استمرارية الإبداع" واستمرارية العبقرية الدائمة غير المؤقتة أو المحدودة.

ويمكن أن ندرك أهمية "التوتر النفسي" عندما نعلم مدى احتياج الشخصية العبقرية "لحالة نفسية" مغايرة للحالة النفسية الاعتيادية السائدة في نمط الحياة القائم على عدد من الثوابت والمسلمات المتواضع عليها، فالحالة النفسية غير الاعتيادية- في ظل الذكاء والعبقرية- تبحث دائمًا عن قوانينها الذاتية غير الاعتيادية بطرق غير تقليدية، وتسمح للعقل البشري بارتياد آفاق فكرية ونفسية مرتبطة بالحالة السيكلوجية، أي غير اعتيادية، وفي مثل هذه الحالة يحل "الحدس" أو "الإلهام" أو "الخيال" محل التفكير التقليدي السائد عند الناس في المجتمع العادي. وغني عن القول إن الحدس والإلهام والخيال من الوسائل التي يتمكن

بها العبقري من القفز قفزات هائلة في ميادين الإبداع لا نجد لها مسمى آخر سوى "الطفرة".

*قوة الذاكرة:

وهي أيضًا من الخصائص اللازمة للعبقرية، إذ على العبقري أن يكون ملمًا بالخبرات الأساسية في العلوم والمعارف السابقة عليه، وأن يتذكر تلك الخبرات حتى يتمكن من الربط بين حلقات تطورها من جانب، ثم يتمكن من تخيل التطور المتوقع في المستقبل لهذه الخبرات والمعارف، ومن ثم يسهل عليه وضع فروض هذا التطور واختبار الفرضيات في مجال التخصص المعني به.

على أن الذاكرة نفسها مشكلة من أهم المشاكل التي لاقاها علماء النفس وتوقفوا أمامها طويلاً خاصة عندما أرادوا تحديد المرحلة العمرية التي تضعف خلالها الذاكرة، وكان المتوقع والمتفق عليه هو أن ضعف الذاكرة يبدأ مع مرحلة الشيخوخة، إلا أن التجارب التي يؤديها الواقع لا تساند هذا الاتفاق أو التوقع، فمن العباقرة من هم مثل "أديسون" كانوا في "الطفولة" ضعاف الذاكرة إلى الحد الذي لا يمكنهم من تذكر المعلومات الأساسية اللازمة للاستذكار العلمي في فترة الدراسة؛ ولذلك ترك أديسون الدراسة والمدرسة ولم يتعلم تعليمًا نظاميًّا (مدرسيًّا) إلا لفترة لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر، وقد وصفه أساتذته وأقرانه في الدراسة بالبلاهة الذهنية!!

واستمر ضعف الذاكرة في مراحل أخرى من حياة "أديسون" إلا أن هذا الضعف كان قد انتقل لجوانب أخرى خاصة بالحياة الاجتماعية بينما ازدادت قوة الذاكرة لديه فيما يخص الأمور العلمية التي يقبل عليها بنهم مبالغ فيه وبجهوده الذاتية الخالصة.

إذن، الذاكرة القوية قد لا تكون قوية في سائر المجالات، ومثلها الذاكرة الضعيفة، وليس ثمة مرحلة عمرية محدودة يبدأ عندها أو معها ضعف الذاكرة، خاصة إذا ما درست الذاكرة عند العباقرة، أي ازداد درسنا نوعًا من الذاكرة غير الاعتيادية.

*** الانتباه الدائم:**

وهو أيضًا من خصائص العبقرية، بل من أهم العوامل الفارقة بين الشخصية العبقرية وبين الشخصيات الاعتيادية، إلا أن (الانتباه) هنا، أي في حالة العبقرية يرتبط أكثر بطبيعة التفكير، فهو خاصية متوافرة لدى العبقري بالطبع وليس بالاكتساب.

ومن الواضح إن كافة العقول على اختلاف حظوظها من الذكاء على درجة أو درجات غير مستقرة من هذا الانتباه المتقطع غير الدائم، إلا أن الانتباه الدائم المستمر بحد ذاته ظاهرة فريدة يندر وجودها إلا في الشخص العبقري وحده، فالأذهان الاعتيادية للبشر تعرض لها الأفكار في صور منفصلة لها سلسلة متصلة الحلقات مترابطة؛ لذا يظل بين الفكرة والفكرة تلك الفجوة التي ينحدر فيها الذهن الاعتيادي إلى سفح التشتت وضعف التركيز، أما الذهن العبقري فهو بطبيعة تفكيره يجد كافة الأفكار كما لو كانت سلسلة متصلة الحلقات، بينها روابط منطقية كثيرة، لذا فإن التشعب الفكري هو وليد هذا التسلسل الفكري المنطقي في الذهن العبقري، وهذا التسلسل المتواجد دائمًا في الأفكار، أو بالأحرى في طبيعة تناول فكر العبقري لها هو الذي يجعل "الانتباه" مستمرًا ودائمًا حتى في لحظات الشرود الذهني.

العبقري -إذن- إنسان يختلف عن البشر من حيث هو قدرة وفعالية، ويختلف في استخدام تلك القدرة عن سائر البشر، وهو لذلك

يختلف في حياته كلها تبعًا لاختلاف نظرته للأمور واختلاف الوسائل التي يحقق بها أهدافه في الحياة، وإن كان العقل العبقري لا يفكر في مسائل وموضوعات غير اعتيادية بالنسبة للفلاسفة والعلماء وأهل الفنون، فموضوعات العبقري هي نفس الموضوعات التي يهتم بها العلماء والفلاسفة ولكن طريقة تناول تلك الموضوعات والتعامل معها هو الذي يفرق بين عبقرية وأخرى، أما الفرق بين العبقري وغيره من البشر من حيث "الموضوعات" فهو اهتمام العبقري بالموضوعات "الكلية – الشمولية" الخاصة بالفلسفة والفنون والعلوم، في حين لا يهتم الإنسان العادي بأكثر مما يموج في حياته اليومية من مشكلات تقليدية روتينية مبتذلة.

فالعبقري إنسان يختلف في كل شيء عن سائر أقرانه في البيئة التي يعيش فيها،

وهو "شخصية مستقلة" في كل شيء، مختلفة في كل شيء، في طريقة التفكير، وقدرة التفكير والذكاء، ومن ثم في نمط الحياة نفسه؛ لأنه يبدع حياته وفقًا لأفكاره الخاصة المبتكرة التي تمليها عليه مواهبه، فالعبقري لا يترك الأفكار السابقة على وجوده تقود حياته، إنما يخضع كافة الأفكار المسبقة للنقد والفحص والتحليل، ويتبنى وجهة نظر (فلسفة) في الحياة يعمل على صياغة حياته وفقًا لها، وغالبًا ما تبنى تلك الفلسفة على "نظرة انفرادية" مستقلة أساسها وجوهرها تحقيق "التفرّد" والنجاح في الحياة[١]، والعبقري لذلك ثائر متمرد حتى على نفسه، ولولا تلك الثورة لتجمد عند نقطة من نقاط التطور النفسي والذهني يرتضيها لنفسه ويعجب أو يقنع بها كما يفعل عامة الناس، إلا أن التمرد العبقري يشمل كل شيء؛ وليس النفس وحدها، بل يشمل

([1]) الشخصية الناجحة: للمؤلف. المركز العربي للنشر.

أيضًا المجتمع وما يموج به من أفكار وأعمال مستقرة منذ آلاف السنين؛ ولأن هذا التمرد يضع "الذات العبقرية" في تحدٍ سافر مع "الحشد" فإن الشخصية العبقرية لا بد وأن تتمتع كذلك بقدرٍ وافر من الإصرار والصمود والتحدي والثقة بالنفس[٢].

(2) أشهر العباقرة في التاريخ: للمؤلف. المركز العربي للنشر.

الفصل الثاني

معنى العبقرية

* التفسير السيكلوجي:

يأتي التفسير السيكلوجي في مقدمة التفاسير الموضوعية العلمية للعبقرية، وبهذا التفسير تعتبر العبقرية ظاهرة إنسانية بحته حاول علماء النفس البحث عن الأسباب المباشرة لها والتي لا تربطها بأي أسباب خارجية – ميتافيزيقية.

ومن أشهر علماء النفس الذين تناولوا ظاهرة العبقرية "لويس ترومان" يليه "فرانسيس جولتون" ثم "هولنجورث" ومن بعده "سيزار لومبروزو" و"كرشمر".

أما خلاصة أبحاث هؤلاء العلماء فيمكن تحديدها في بعض النقاط والتي تفيد معنى العبقرية من جهة وتدل على الروابط بين العبقرية والجنون من جهة أخرى، وفي البداية يطالعنا رأي "ترومان" في ماهية العبقرية حيث يحددها بأنها: "قدرة ذهنية عليا يمكن الوقوف عليها في ضوء اختبار ذكاء مقنن حدد له معدل قدره (١٤٠) فما فوق للشخص الذي يمكن أن يكون عبقريًا" [٣] وهو مستوى من الذكاء يصل إليه حوالي شخص واحد من كل ٢٥٠ شخصًا من مجموع الناس.

ومع ذلك اقترح عالم نفسي آخر هو "هولنجورث" أن يكون هذا المعدل (١٨٠) فما فوق، وهو مستوى لا يصل إليه من الناس سوى ستة أشخاص من كل مليون شخص.

وإلى جانب "ترومان وهولنجورث" يأتي رامي "جالتون" الذي ينظر إلى العبقرية باعتبارها قدرة إبداعية ذات مستوى عال بشكل غير مألوف عما هو ممارس في المنجزات اليومية[٤]، أي أنها ليست مجرد

([3]) العبقرية والجنون: يوسف ميخائيل أسعد، ص٢٢، دار الغريب.

([4]) نفس المصدر السابق.

قدرة ذهنية يمكن قياسها وفقًا لمقياس معدل الذكاء المتفق عليه بين علماء النفس.

وهناك آراء أخرى مغايرة وإن كانت في إطار التفسير السيكلوجي، إلا أنها تتجاوز تعريف العبقرية باعتبارها قدرة ذهنية أو قدرة إبداعية، وفي هذا المضمار نشير إلى رأي "سيزار لومبروزو" الذي يرى أن العبقري ينتمي إلى نوع "سيكوبيولوجي" معين (مختلف) عن النوع البشري، بل يختلف تمامًا عن الشخص العادي من حيث عملياته العقلية والانفعالية.

ويعتبر تفسير "لومبروزو" هو التفسير الطبيعي لكافة التفسيرات التالية التي ربطت بين العبقرية من جهة وبين المرض النفسي من جهة أخرى، أما الذين يرون أن الصلة بين المرض النفسي والعبقرية صلة قائمة ولا شك فيها فيأتي في مقدمتهم "كرتشمر" ويليه "مودي دي تور" ثم "لا نج إيكباوم" و"هزربرج" وبوافقهم في هذا التفسير عدد من الشعراء العظماء في مقدمتهم الشاعر الألماني "جيته" والشاعر الأشهر "لامارتين".

في البداية حاول "كرتشمر" أن يعقد المقارنة بين نماذج من العباقرة من جهة وبين نماذج من "أشباه الفصاميين" من جهة أخرى، أما الأسباب الموضوعية التي تبرز أهمية وضرورة مثل هذه المقارنة فيمكن أن نجدها في التشابه الرهيب بين العبقري وبين أشباه الفصاميين وخاصة فيما يلي:

- الانصراف شبه الكامل عن الواقع.
- الاستغراق في التهويم وأحلام اليقظة، خاصة التي تشكل الرغبة الشبقية محورها.
- عدم الرضا عن الواقع.

- الفشل في الحياة الزوجية.
- صعوبة التكسب من العمل رغم النجاح فيه.
- الافتقار الدائم للضبط الذاتي.

وعلى كل حال فإن المقارنة التي عقدها "كرتشمر" بين العباقرة وأشباه الفصاميين تجد لها ما يؤيدها ويساندها بالرأي خاصة "يونج" ثم "فرويد" وهما معًا يؤيدان رأي "كرتشمر" في تفسيره للعبقرية واعتبار المرض النفسي سببًا مباشرًا لها.

وقد قام "جولتون" بدراسة عدد من نماذج العباقرة في كتابه الشهير "العبقرية الموروثة"، وأكدت معظم دراساته لتلك النماذج إن الأسباب المباشرة لظاهرة العبقرية هي أسباب سيكلوجية بالدرجة الأولى.

ويرى "لانج إيكباوم" أن ٣٠% من العباقرة إن لم يكونوا ذهانيين، أي مجانين، فهم على الأقل سيكوباتيون، وأن هناك ٦% فقط من العباقرة أصحاء"[٥] وهو يذكر من الأمثلة: بودلير المصاب بالشلل الجنوني، ونيوتن المصاب بالفصام وغيرهم من العباقرة.

وبناء على ذلك يمكن أن نضيف إلى السمات السالفة التي عرضناها أثناء الحديث عن الصلة بين العباقرة وأشباه الفصاميين بعض سمات أخرى رئيسية تتضح بها الصورة الكاملة "للشخصية السيكوباتية" وأهم تلك السمات:

- الشعور بالنقص.
- انعدام التوافق النفسي بين الذات والعالم.
- تزايد قوة الحياة الانفعالية والاستجابة الأقوى للمثيرات البسيطة.

ومن المعروف لدى علماء النفس إن هذه السمات هي التي تدفع بالشخصية العبقرية أو السيكوباتية على السواء، إلى بناء عالم خيالي

([5]) المصدر السابق: ص٨٠.

تتعايش معه ليحل محل العالم الواقعي المرفوض، وهنا تلعب الأحلام دورًا على قدر عظيم من الأهمية، كما لا يقل دور "الإبداع" الفلسفي – خصوصًا– أهمية عن أهمية الأحلام؛ لأن الإبداع الفلسفي لا يبحث فيما هو كائن بالفعل في الواقع، وإنما غاية الفلسفة في كل أبحاثها هو البحث فيما ينبغي أن يكون؛ لذا فهي تقدم "البديل" الذي يرتضيه العبقري أو حتى السيكوباتي، فكل من العبقري أو السيكوباتي يستبدل العالم الواقعي الذي لا يتوافق معه بحياة أخرى تتفاوت خصوبتها الخيالية بتفاوت القدرة الإبداعية وقوة الخيال من شخصية عبقرية إلى أخرى أو من شخصية سيكوباتية إلى أخرى.

***التفسير الفسيولوجي:**

العبقرية.. قوة نقيضة للقوة العضلية.

إنها بكل تأكيد قوة عقلية نفسانية تشمل جماع العقل والشخصية ومواهبها، لكن علينا أن نتذكر دائمًا أن القوة العقلية مصدرها "الجسم" البيولوجي، فهل من صلة بين العبقرية والجسم؟ بعبارة أخرى هل تؤثر السمات الجسمية في العبقرية، وإلى أي مدى يبلغ هذا الأثر؟

من بين الذين يهتمون بالبحث في العبقرية –بعد أنصار التفسير السيكولجي– برز أنصار التفسير السيكولجي الذي يعزو الكثير من سمات وخصائص العبقرية إلى السمات الفسيولوجية والجسمية الأمر الذي يجذب انتباهنا–بعد ذلك– إلى صلة العبقرية بالوراثة.

ومن أهم الملاحظات التي توصل إليها علماء الفسيولوجيا في مضمار البحث عن العلاقة بين "سمات الشخصية"، وخاصة سمات الشخصية العبقرية من جهة وبين السمات الجسمية، يمكننا أن نرصد مجموعة الملاحظات–الرئيسة التالية:

- هناك علاقة وثيقة بين النحافة وما يصاحبها من "مزاج سوداوي" وبين العبقرية.
- هناك علاقة وثيقة بين شكل وحجم الجمجمة وبين العبقرية.
- هناك علاقة أوثق بين الأمراض والعاهات البدنية وبين العبقرية.

وغالبا ما تتكاتف هذه العوامل بداية من النحافة والمزاج السوادي ومرورًا بحجم الجمجمة وأخيرًا "الأمراض البدنية" في تكوين الملامح العامة للشخصية العبقرية، مثلاً يتدخل المزاج السوداوي في تحديد النمط النفسي المائل إلى الانطواء والعزلة وكثرة التأمل والنشاط الذهني الفائق، فكلما انسلخ العبقري عن تيار الحياة اليومية الروتينية كلما كان أقرب إلى نفسه وعالمه الذي يموج بالأفكار والرؤى، وليس يخفى علينا أن الاستقرار الكامل في "الروتين المتبذل" للحياة اليومية يحد من "القدرة العبقرية"؛ لأن العبقرية ذاتها "ثورة إبداعية"، أي أنها على النقيض تمامًا من "الاستسلام" لتيار الحياة اليومية وأسسها الثابتة.

كذلك يتدخل "حجم المخ" وكبر مساحة الدماغ الذي يعني عددًا أوفر في خلايا المخ، أي نشاط ذهني فائق، فمن المتعارف عليه أنه كلما كثرت تلافيف المخ، كثر عدد الخلايا المخية، وكلما كثر عدد تلك الخلايا كلما تزايد النشاط العقلي وتزايدت قوى الدماغ، وأخيرًا دور الأمراض والعلل الجسمية أو العاهات البدنية.

ومن الملاحظ – كذلك- أن أكثر العباقرة كانوا من المرضى وأصحاب العاهات البدنية والعلل الجسمية فهذا ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير الذي لم يكن يكاد يشفى من الالتهاب الرئوي المزمن حتى يعاوده المرض مرة تلو الأخرى، وهذا بيتهوفن الذي خلدته أروع سيمفونياته، وهي السيمفونيات التي تم تأليفها وهو أصم وغير قادر على سماع أعلى الأصوات، وهذا بارون الذي لم يشف من الشلل وظل

"العرج" ملازمًا له طيلة حياته يشوه جمال جسده، وهذا "نيتشيه" الذي قضى السنوات الأخيرة من عمره في منتجع صحي للأمراض العقلية ظل به حتى وفاته.. وغير هؤلاء الكثير من العباقرة.

وأغلب الظن أن هذه الأمراض تقوم بدور الحافز الأقوى للتحدي الذي يلقي فيه العبقري بكل كيانه مغامرًا بكل شيء من أجل كل شيء وفي صميم نفسه لا يتردد سوى صوت الإرادة العبقرية: سأنتصر.. وأتحدى!

لكن في أي معركة ينتصر العباقرة؟ وما الذي يتحداه العبقري؟

غالبًا لا يهتم العباقرة بالمعارك التافهة الصغيرة المرتبطة بالمصالح الفردية للحياة اليومية الفقيرة، فالمعارك التي يهتم بها العباقرة أضخم بكثير من الاهتمامات اليومية لرجل الشارع العادي، لكن أهم تلك المعارك في نظر العبقري "معركة الحياة" ذاتها.

ومن البديهي أن تختلف نظرة العبقري للحياة عن نظرة الإنسان العادي، ويترتب هذا الاختلاف -بالطبع- على مفهوم الحياة ذاتها. واختلاف هذا المفهوم عند كل منهما، فالرجل العادي يأتي إلى الدنيا فيرث والديه بيولوجيًا وثقافيًا، الأمر الذي يحدث له "تسق شخصيته" بشكل مسبق، أو على الأقل جانبًا منها، أما العبقري فيرث والديه بيولوجيًا فقط، بينما يضع كافة الأنساق القانونية والمعرفية موضع البحث والتمحيص بحيث لا يسمح لأي عناصر ثقافية بالمشاركة في تكوين شخصيته وتوجيه مسار حياته إلا بعد اختبارها والإيمان بها عقليًا.

والعبقري أيضًا يتحدى "نفسه" ولا يقف تحديه عند حدود المجتمع وأفكاره السائدة، فعندما يصاب رجل مثل "لويس باستور" بالشلل النصفي وهو في السادسة والأربعين من عمره، فهو بكل تأكيد لن

يقضي البقية الباقية من حياته في خمول أو استسلام للمرض، بل العكس من ذلك هو المتوقع، وهو ما حدث فعلاً إذا قضى "لويس باستور" السنوات السبعة والعشرين التالية لإصابته بالمرض باحثًا ومجربًا حتى تمكن من وضع نظرياته الخاصة بالعدوى الميكروبية التي كان لها بالغ الأثر فيما بعد.

إذن، فاعتلال الجسم يدفع العبقري إلى التمرد على المرض وتحديه، وقد يكون المرض نفسه هو أحد بواعث عبقريته؛ وذلك لأن الخلل في الجسم لا يكون خللاً عامًا شاملاً وإنما يختص بجزء واحد من أعضاء البدن، بينما تنشط سائر الأعضاء الأخرى لتعويض خلل هذا الجزء.

على أن الدراسات الفسيولوجية تؤكد أننا نرث أجسامنا وغددنا فقط، وقد نرث الذكاء أيضًا، والذكاء جزء من العبقرية، ولكنه ليس كل العبقرية، فالعبقرية تتجلى في السلوك العبقري، ونحن لا نرث السلوك مع الوراثة البيولوجية، صحيح أن أجسامنا وغددنا قد تهيئ لنا المناخ النفسي الذي يترجم بعد ذلك إلى سلوكيات، لكن يظل هذا السلوك قبل تحوله من القوة إلى الفعل مجرد (قوة نفسية) تتجدد طبيعتها بالسلب أو الإيجاب وفقًا لعوامل غير بيولوجية أو سيكلوجية، وهي على وجه الدقة عوامل اجتماعية.

لكن أنصار التفسير الفسيولوجي للعبقرية يصرون على أهمية دور الجسم ووظائف الغدد وإفرازاتها في تكوين السمات العامة للشخصية. وهم يؤمنون لذلك أو يؤيدون إصرارهم بالأحرى بأن النشاط العقلي أو النفسي ينبعث من الجسم، أو هو نتيجة لوظائف الجسم؛ ويلحون من جهة أخرى على دور الوراثة في توريث بعض الإمكانيات والاستعدادات الجسمية التي تتدخل فيما بعد في صياغة النشاط العقلي والنفسي.

العبقرية -إذن- في ضوء هذا التفسير ظاهرة تنتج عن أسباب فسيولوجية وراثية ولا دخل للبيئة فيها وهذا اعتقاد متهافت.

ومن الملاحظ أنه سواء في التفسير السيكلوجي أو التفسير الفسيولوجي تعزى العبقرية إلى عوامل وأسباب إنسانية مباشرة تكون نفسية في الحالة الأولى، بينما تكون جسمية في الحالة الثانية، ومعنى ذلك أن علماء النفس وعلماء الفسيولوجيا لا يربطون بين العبقرية باعتبارها ظاهرة إنسانية وبين أي عوامل خارجية بيئية.

***نقد التفسير الفسيولوجي:**

ليس من الصعب بيان تهافت أنصار التفسير الفسيولوجي للعبقرية، خاصة في نفيهم أن يكون للبيئة أي دور في إظهار العبقرية.

ونحن أولاً: لا نعترض على دور ووظائف الأعضاء، والغدد وإفرازاتها، أو دور الوراثة وما تورثه من إمكانيات واستعدادات فطرية للعبقرية، لكن إلى جانب هذا لا يمكننا أن نتجاهل دور البيئة والوسط الاجتماعي الذي ينشأ به العبقري في تحديد مسار ومصير العبقرية ذاتها، فالاستعدادات الموروثة مجرد "قوى" لم تتحد طبيعتها الإيجابية أو السلبية بعد، بل إن هذه الطبيعة لا تكتسب صفة السلبية أو الإيجابية إلا عندما تتبلور في سلوك يمكن الحكم عليه، والسلوك لابد له من وسط أو بيئة، فالبيئة هي التي تحدد أنماط وطبيعة سلوكنا بمعنى أنه إذ صلحت بيئة الإنسان صلح سلوكه وقلت الانحرافات والأمراض الاجتماعية؛ لأن الأمراض النفسية -كما قال أحد الكتاب- هي في الأصل أمراض اجتماعية، أو هي على أقل تقدير أمراض ذات أصول اجتماعية.

معنى ذلك أن العباقرة لا يولدون عباقرة، وإن الذين ولدوا ولديهم ميول للإجرام لا يعدون بالفعل في زمرة المجرمين، كما لا يصير

العباقرة في زمرة العباقرة إلا بعد تحول ميولهم إلى سلوكيات تحدد مسارها وطبيعتها من حيث السلب أو الإيجاب بيئة صالحة أو بيئة سيئة.

وفي هذا الصدد يقول سلامة موسي في كتابه "دراسات سيكلوجية":

"إذا كانت العبقرية تورث فإننا يجب أن نسلم أيضًا بأن الذكاء يورث، وبأن هناك شعوبًا تمتاز بالذكاء وأخرى لا تمتاز به، وعلى هذا الأساس يجب أن نبرر الاستعمار، إذ هو في منطق دعاة الوراثة. حكم أمة تمتاز بالذكاء لأمه لا تمتاز به، وللأولى إذن حق استغلال الثانية بحكم ما تمتاز به؟

وإذا كانت أسرة تمتاز بالذكاء وأخرى لا تمتاز به فمن حق الأولى أن تستغل الثانية (وينسحب هذا الحكم على الطبقات بعد الأمم والأسر) وإذن عندنا ما يبرر الاستعمار ثم الاستغلال، ثم هناك بيض وسود، فالبيض أذكياء والسود مغفلون. وإذن لا يجوز لأحد أن يقول المساواة بين الاثنين. هذا حكم الوراثة.

وأنا أسلم بأن فردًا قد يمتاز عن آخر بمقدار من الذكاء المورث، ولكن المقدار ليس علة العبقرية من طرف أو علة الغفلة من طرف آخر، وإنما السبب الأساسي بل الوحيد للذكاء الخارق وللطيبة المفرطة وللاختراع من الاكتشاف هو الوسط وليس الوراثة".

والعبقرية قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية، والذي يحدد طبيعتها كما قلنا هو الوسط، وفي هذا الصدد يستطرد سلامة موسى قائلاً: "تفوق الجرمان بالوراثة على سائر الشعوب الأخرى هو هراء ضخم، ومثل هذا الهراء الضخم ما نسمعه عن تفوق الرجل على المرأة في الذكاء، وقد يضحك القارئ عندما يعرف أن بعض البراهين على هذا

التفوق أن الرجل يخترع ويكتشف، أما المرأة فلا، وكيف تخترع المرأة وتكتشف وهي تطبخ البامية والبطاطس وتمسح البيت كل يوم وتغسل الأطفال كل ساعة، هل هذه الأعمال تبعث على الاختراع والاكتشاف؟

إن الرجل يكشف ويخترع؛ لأنه يحيا في بيئة (وسط) الصناعة والتجارة والعلم والفن والهندسة والطب، فالمجال أي الوسط، يبعث على الاختراع والاكتشاف، بل الوسط يغير الطبيعة الموروثة، وهناك أوساط بشرية تعمل للتجمد الذهني كالوسط الزراعي مثلاً، فإن ميدان الاكتشاف والاختراع بل ميدان التفكير فيه يكاد يكون معدومًا؛ ولذلك نجد التسليم التام يحل محل التساؤل الدائم والبحث عن أسباب الحوادث والظواهر، وهذا الموقف، أي موقف التسليم لا يدعو إلى البحث، أي لا يدعو إلى الاكتشاف.

لكن ساكن المدينة يتذكى ويسأل ويستفهم ولا يسلم للقدر. الوسيط الزراعي أوجد النظام الإقطاعي الجامد، والتسليم المطلق للقدر، وكراهة التطور أو التغير، واحترام التقاليد، وسائر المجموعة من الأخلاق الإقطاعية التي لا يزال أكثرها، بحكم الوسط الزراعي، فاشيًا في بلادنا.

ولكن الوسط المدني، وسط المدينة والمصنع والمتجر والجريدة اليومية والمناظر السينمائية والكتب ونحوها، هذا الوسط يجعل ساكن المدينة أذكى من ساكن الريف، أو بالأحرى زاد ذكاؤه حدة ويقظة في حين جعل الوسط الزراعي ذكاء الفلاح في نوم وغفلة".

إذن، فأهم ما يؤخذ على التفسير الفسيولوجي لظاهرة العبقرية هو إنه تفسير تبريري، يبرر الاستعمار والعنصرية أكثر ما يفسر العبقرية، والمفترض في النظريات العلمية لكي يؤخذ بها عمليًا أن يتوافر لها الحياد والموضوعية فالموضوعية تناقض التبريرية، والحياد يتناقض

مع النزوع العنصري الاستعماري الذي دافع عنه أنصار التفسير الفسيولوجي، ناهيك عن عدم كفاية هذا التفسير نفسه لشرح ظاهرة العبقرية وتحديد سببها الوحيد الأصيل.

وإذا كان التفسير الفسيولوجي يعتمد اعتمادًا كليًّا على الوراثة، فإن العبقرية لا تورث بشهادة الواقع والتاريخ، إذ لا ينجب العباقرة عباقرة.

أضف إلى ذلك أن العبقري يحتاج إلى خبرات كثيرة تؤكد دور البيئة من جهة ودور التربية من جهة أخرى، وليس من الممكن القطع بأن العباقرة يمكن أن تظهر عبقريتهم الموروثة حتى إذا عزلوا تمامًا عن البيئة، أو حتى إذا تركوا لشأنهم دون تربية أو توجيه.

***التفسير الاجتماعي:**

يرتكز التفسير الاجتماعي لظاهرة العبقرية على إحدى الظواهر الاجتماعية المعروفة والتي تجسدها الحياة الاجتماعية للشخصية العبقرية ونعني بها ظاهرة "سوء التكيف الاجتماعي".

فمن الشواهد التي دلت عليها دراسة الحياة الاجتماعية لكثير من العباقرة نجد أن "سوء التكيف" على قمة الشواهد التي تم استنتاجها وتفسيرها بالمرض النفسي، إذ يعني سوء التكيف أن ثمة اختلالاً يحكم علاقة الإنسان بالمجتمع قد بدأ يسيطر على السلوك الاجتماعي.

أما السبب الذي دعا أنصار "التفسير الاجتماعي" لظاهرة العبقرية إلى القول بأن "سوء التكيف" هو علة العبقرية، أو هو على الأقل أحد عللها؛ خاصة إذا أضيف له النتائج المترتبة عليه نفسيًّا، فيما يلي:

- إن الصراع النفسي الدائم الذي يسود حياة العباقرة قد يكون سببه الرئيسي "عدم التكيف الاجتماعي" وهذا الصراع النفسي-الاجتماعي هو أحد أسباب العبقرية.

- ينشأ الصراع النفسي الذي يفسر سوء التكيف أو العكس بسبب الاختلاف الجذري بين :
  أ. أهداف العبقري وأهداف المجتمع الرئيسية.
  ب. نمط حياة العبقري ونمط حياة المجتمع العامة.
  ج. نسق أفكار العبقري وتصوره للعالم ونسق أفكار المجتمع وتصوره للعالم.

  ويزيد هذا الصراع القائم على الاختلاف والتناقض الجذري من تأجج شعلة العبقرية وحفزها على الإبداع والتفوق الذي يجسد في النهاية انتصار العبقري ويتوج تحديه للمجتمع.
- إن المرض النفسي المقترن بظاهرة العبقرية يدفع بالحياة الوجدانية للشخصية العبقرية إلى درجة مرهفة من الحساسية الشديدة قد تصل إلى حد التطرف الوجداني، وهذه الحساسية المرهفة لا تتوافق بالطبع مع الروتين اليومي للحياة المبتذلة بكل علاقاتها وثوابتها. سواء ما كان معنويًا منها أو ماديًا؛ لذا فإن "سوء التوافق" أو "سوء التكيف" مع الواقع والمجتمع يكون أوضح ما يكون عليه كلما زادت شدة الحساسية، الأمر الذي يدفع بالعبقري إلى العزلة والبعد عن المجتمع وعلاقاته وأفراده.
- إن "سوء التكيف" لدى العباقرة ظاهرة لا ترتبط بالمدى أو المرحلة المتقدمة من العمر، بل على العكس من ذلك، أي أنه يمكن رصد ظاهرة "سوء التكيف الاجتماعي" في حياة العبقري منذ مرحلة الطفولة، وتتجلى شواهدها في سلوكيات كثيرة منها ما يتعلق بالحياة الأسرية، ومنها ما يتعلق بالحياة المدرسية.

وفي كافة الحالات يكون "النقد" هو الجوهر الأساسي الذي يحكم السلوك الدال على عدم التكيف، فكثيرًا ما يوجه الطفل العبقري النقد

الصريح المباشر لوالديه وأقرانه وأساتذته مما يسبب لهم الجرح الشديد والتبرم والاستنكار.

وقد يتخذ السلوك الدال على عدم التكيف مظهرًا آخر "سلبيًا" كعدم الاكتراث بالواجبات المدرسية أو الفشل في مادة علمية معينة، لكن سرعان ما يظهر الطفل تفوقًا في نفس المادة إذا تبدل نظام التعليم، أو إذا ترك الطفل المدرسة النظامية إلى مدرسة حرة، ويعني ذلك أن الفشل أو عدم إحراز التفوق العلمي في إحدى المواد لا يعني أن الطفل لا يملك مؤهلات النجاح الذهنية، بل يعني أن الفشل أو التأخر الدراسي لم يكن سوى مجرد صورة من صور الاحتجاج الذهني-النفسي على أسلوب المعلم أو المنهج التعليمي؛ فالطفل الموهوب لا يكتفي بمجرد النقد، بل يتجاوز النقد كموقف ذهني- فكري إلى محاولة التغيير العملي للظروف المحيطة به سواء كانت في نطاق الأسرة أو في نطاق المدرسة، وهو إذا لم يستطع التغيير الفعلي يكتفي بالاحتجاج السلبي متمثلاً في الامتناع عن أداء العمل المطلوب منه حتى إذا تطلب الأمر اختلاف الوسائل التي تبرر هذا الامتناع بشكل نفسي-لا شعوري.

ويبقى أن نقول:

إن السبب الرئيسي لسوء التكيف الاجتماعي لدى العبقري يكمن في الشخصية العبقرية ذاتها كنسق نفسي مغاير لأقرانه في المجتمع والأسرة والمدرسة، فالعبقري يشعر حتمًا بهذا الاختلاف، بل يشعر أن اختلافه عن سائر أقرانه ليس مجرد اختلاف بسيط، بل هو اختلاف جذري وشامل، ونفس هذا الشعور بالاختلاف يتضمن الشعور بالتفوق والتميز.

لكن غالبًا لا يكتفي العبقري بغبطته الذاتية بهذا الشعور، فالسعادة الأشمل التي يطلبها العبقري تكمن في اعتراف الآخرين بتفوقه ونبوغه

وعبقريته؛ لذا فهو لا يتورع عن الإمعان في التميز والتفوق حتى يتمكن من الحصول على اعتراف الجميع بعبقريته، لكن غالبًا ما تواجه جهود العبقري بالدهشة أو الإنكار أو الاتهام بالأغراب والشذوذ أو حتى الجنون.

والعبقري لا يستسلم لهذا الموقف الاجتماعي العدائي، بل يتخذه ركيزة للتحدي والإمعان في التصميم على الانتصار لفكره وشخصيته، لكن موقف التحدي للمجتمع قد يكلف العبقري كثيرًا، ومع ذلك دائمًا ما يكون العبقري على استعداد لدفع الثمن، ثمن عبقريته وحريته في آن واحد معًا.

والأمثلة التي انكرت فيها المجتمعات جهود العباقرة أو تجاهلت عبقريتهم كثيرة منها مثلاً "شوبنهور" الملقب بفيلسوف الألم، فقد تأخر الاعتراف العالمي بعبقريته حتى ما بعد سنة "١٨٤٨" رغم أنه ظل مواظبًا على نشر مؤلفاته الفلسفية العظيمة من قبل عام "١٨١٩"، ولم يمنع هذا الجحود والإهمال الاجتماعي "شوبنهور" من الاستمرار في نشر أعماله ولم يفت من قوته وتصميمه على الانتصار، لقد كان مؤمنا أنه على حق والجميع على خطأ، ولم يشك لحظة في عبقريته أو في قدرته على الانتصار؛ لذا ظل يعمل واثقًا من مجيء اللحظة التي سيعترف فيها العالم كله بعبقريته.

وعلى العكس من "شوبنهور" كان الفيلسوف "جيوردانو برونو" - (١٥٤٨-١٦٠٠) مثالاً فذًا للاستشهاد في سبيل العبقرية، وكان موته إدانة دافعة لعصره والعقل السائد فيه، ولقد تمسك "برونو" بأفكاره التي كانت بمثابة الصدمة لكل أفكار عصره الموروثة، ومن الثابت أنها كانت تمثل قوة هادمة لكل الثوابت الفكرية الموروثة في هذا العصر، ونادرًا ما يسمح العقل الجمعي لذهن العبقري أن يهدم الأسس والثوابت الفكرية

التي قامت عليها المجتمعات واستقرت النفوس؛ لذا فمن المؤكد أن يكون الصراع بين العبقري والمجتمع على أشده؛ خاصة إذا كانت عبقرية العبقرية تتجلى في الميدان الفكري وتهدف إلى زعزعة أسس الأفكار الثابتة القديمة، وهنا يتوقع العبقري كل شيء بداية من التجاهل ومرورًا بالأفكار والاتهام بالجنون.

فإذا لم يتراجع العبقري عن أفكاره- كما فعل جاليليو- واستمسك بها رغم أنف الجميع، وهو ما فعله "برونو" كان عليه أن يتوقع من المجتمع ما هو أسوأ وأعظم من التجاهل والإنكار والاتهام بالجنون كان عليه أن يتوقعِ الموت، وبالفعل قتل "برونو" بسبب تمسكه بأفكاره فضرب لنا مثلاً عظيمًا على التصميم وقوة الإرادة العبقرية، لقد نسى العالم كله قتلة "برونو" وِأدانهم بارتكاب أبشع جريمة في حق العبقرية والفكر، أما "برونو" فخلَد إلى الأبد بين العباقرة المخلدين في ذاكرة التاريخ البشري.

وهكذا، قد يصل الصدام بين العبقري والمجتمع إلى أقصى منتهاه، والعبقري لا يتوانى عن دفع هذا الصراع إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه، وهي معركة بين الشخصية العبقرية المتفردة وتصورها للعالم وبين الشخصية الجمعية الممسوخة الملامح وتصوره عن الكون والوجود.

والعبقري لا يشك لحظة في قدرته على كسب هذه المعركة؛ لأن انتصار العبقرية هو انتصار الحياة في تحقيق غايتها، وغاية الحياة هي تطوير قدراتها إلى أقصى حد ممكن ليظهر مواهبها وعبقريتها.

أما وقد ظهرت وتجلت عبقرية الحياة في صورة الشخص العبقري فما من قوة على وجه الأرض تستطيع بعد ذلك أن تحجب هذه العبقرية، أو تجعلها تتنازل عن مواهبها التي تميزها لتعود فينضم إلى

صفوف الجموع العمياء التي لا يمكنها الارتفاع فوق المعايير القائمة التقليدية، والتي لا يمكنها التحرر من الثوابت القديمة أو إبداع القيم والأفكار الجديدة. وتتمسك العبقرية بهويتها إلى آخر المدى حتى لو كان الثمن هو تضحية الحياة بذاتها، عندئذ يموت العبقري راضيًا مبتسمًا؛ لأن الجموع لم تستطع تحمل وجوده أو مواجهة عبقريته بنفس سلاحه؛ سلاح النقد: أداة العقل العبقري، وبموت العبقري على هذا النحو.. تنتصر العبقرية.

*** نقد التفسير الاجتماعي:**

صحيح أننا نرفض الأخذ بالتفسير الفسيولوجي باعتباره التفسير الأوحد لظاهرة العبقرية.

وصحيح أننا نؤكد التفسير السيكلوجي ونؤازره بالتفسير الاجتماعي مع التأكيد على أهمية دور التربية، ومع ذلك فإن التربية وحدها لا تكفي لتفسير ظاهرة العبقرية، والبيئة مثلها لا يمكن الاعتماد عليها في تفسير ظاهرة العبقرية اعتمادًا مطلقًا.

والحق أن العوامل التي تدخل في تكوين وإظهار العبقرية عوامل كثيرة ومتداخلة بحيث يؤدي إهمالها أو مجرد إهمال أحدها إلى خلل واضح أو نقص خارج في أي تفسير يتوخى الشمولية والموضوعية في الإحاطة بظاهرة العبقرية.

لذا يجب أن نؤكد دور جميع العوامل السيكلوجية، والفسيولوجية، والاجتماعية في تفسير العبقرية، وذلك دون الاهتمام بعامل أوحد على حساب العوامل الأخرى. ويتضح ذلك إذا حاولنا تفسير العبقرية اجتماعيًّا فقط، إذ سوف تعترضنا مجموعة ظواهر خاصة بالعبقرية لا تفسير لها تربويًّا واجتماعيًّا، والأمثلة على ذلك كثيرة وإليك بعضًا منها:

أولاً:

من الملاحظ إنه لا يمكن تنشئة أجيال كاملة من العباقرة بمجرد الاعتماد على التربية والتعليم فحسب، إذ تقتصر مهمة التعليم والتربية على تهيئة المناخ الملائم لظهور العبقرية ونموها، ومعنى ذلك أنه يجب أن يتوافر استعداد النبوغ والعبقرية حتى قبل توفير المناخ اللازم لتنمية هذا الاستعداد الفطري، ويشير لفظ الاستعداد الفطري إلى دور العامل السيكلوجي والعوامل الأخرى.

ثانيًا:

هناك عباقرة نشأوا بالفعل خارج المدارس النظامية، بل ونشأوا في بيئات من الجهل والفقر؛ بمعنى أنه لم تتوفر لهم الرعاية أو التربية أو التوجيه العلمي السليم ولم يحصلوا على الدرجات العلمية التي يحصل عليها أقرانهم ممن توفرت لهم كامل الرعاية والتربية والتعليم، بل إن الذين نالوا الرعاية والتعليم والتربية السليمة لم يحققوا من العبقرية والنبوغ مثل الذين حرموا فرص الرعاية والتعليم.

ثالثًا:

هناك عباقرة نالوا من التعليم النظامي أعظم قسط، وكان من المفترض أن ينقي هذا التعليم نفسياتهم ويقيهم الأمراض النفسية ماداموا قد نشأوا نشأة صحيحة في بيئة علمية تربوية صالحة، لكن العكس هو ما حدث، أي أن الأمراض النفسية الشهيرة في الشخصيات العبقرية ظلت ملازمة لهؤلاء العباقرة؛ خاصة أولئك العباقرة الذين نشأوا وبأجسادهم بعض الأمراض البدنية أو العاهات النفسية التي كانت السبب في إظهار تفوقهم ونبوغهم، مما يعني أن البيئة أو التعليم أو التربية، كل على حده، لا يمكن الاعتماد عليهم في تفسير أو تكوين واكتساب العبقرية دون إغفال العوامل الأخرى.

رابعًا:

هناك عباقرة لم تظهر عبقريتهم إلا بعد تركهم للتعليم النظامي مثل "أديسون"، بل كان أساتذتهم يحكمون عليهم بالفشل والغباء لعدم تفوقهم بالدراسي أو لعدم اهتمامهم بواجبهم المدرسي، ويدل ذلك إما على عدم مواءمة النظام التعليمي والتربوي للشخصية العبقرية؛ الأمر الذي لا يحقق لها الإشباع الذهني الكامل، أو على تأخر ظهور العامل الوراثي للعبقرية إلى مرحلة ما بعد ترك النظام التعليمي، وفي كل الأحوال تشير هذه الجهات العبقرية إلى ضرورة تفسير ظاهرة العبقرية نفسها بمختلف العوامل التي تشارك في تكوين وإظهار العبقرية دون الاعتماد على عامل دون سائر العوامل الأخرى.

الفصل الثالث

الإلـهام والـعبقريـة

رأينا أن النظريات التي حاولت تفسير "ظاهرة العبقرية" كثيرة؛ وأشهر هذه النظريات وأقدمها على الإطلاق "نظرية الإلهام"، وهي على النقيض من سائر النظريات السابقة، أي أنها لا تعزو العبقرية إلى أسباب مباشرة خاصة بالإنسان، سواء كانت تلك الأسباب نفسية أو فسيولوجية أو اجتماعية. وإنما هي تغزو العبقرية إلى "الإلهام" ذاته، فالعبقري –هنا– هو الشخص الملهم الذي تمده القوى الخفية بمدد من الإلهام لا يتيسر لغيره من الناس.

وقديمًا كانت رؤية الإنسان للكون قائمة على الانقسام والثنائية، أي نفى الوحدة الكونية، ويترتب على تلك الثنائية القول بعاملين؛ أحدهما هو عالم البشر والأشياء وهو العالم الحسي، والآخر هو عالم المثل الذي قال به الفيلسوف اليوناني "أفلاطون".

والحق أن الرؤية الثنائية للعالم والوجود أقدم من "أفلاطون" نفسه، بل هي قديمة قدم العالم ذاته، أي منذ حاول الإنسان إيجاد تفسيرات لظواهر الطبيعة الغامضة من برق ورعد ومطر وعواصف وزلازل لم يكن لها تفسير في هذا الوقع سوى القوى الخفية.

كان الإنسان القديم يرى خلف كل الظواهر التي تحيره نفس القوى الخفية التي تحكم العالم كله وتحدد مصيره، وإن كانت هي نفسها قوى من عالم آخر غير عالمنا، وهي قوى الروح.

واليونان مثلا كانوا يعتقدون إن لكل شيء روحًا حارسة، حتى الكواكب والأشجار والأنهار وسائر الظواهر الطبيعية، وكانوا يعتقدون أن لهذا الروح الحارس أثره في سلوك ومصير الكائن الذي يتلبسه، فإذا كان هذا الروح عظيمًا عظم قدر الكائن الملتبس به، والعكس صحيح.

مثل هذا الاعتقاد وجد أيضًا لدى الفراعنة وأهل بابل والفرس والهنود من قديم الزمن، المهم إنه في الرؤى الكونية القديمة كانت تنتفي

"وحدة الوجود" وينقسم العالم إلى عالم منظور وعالم غير منظور، وكان للعالم غير المنظور سيطرة وتحكم وتدخل في مصير العالم المنظور.

أما "الإلهام" فمهما اختلفت وسائله فهو ينتمي آخر الأمر إلى ذلك العالم المجهول غير المنظور، وهو طاقة خارجية يتجلى أثرها ونتيجتها على الإنسان فتبدو منفصلة عنه وزائدة عليه، وإن كان "العقل" هو المحل الأول الذي يتلقى الإلهام ويظهره.

لكن يظل العقل -مع ذلك- مجرد مستقبل لحالة الإلهام الخارجي التي تملي الإبداع بمختلف أشكاله وأنواعه دون أن يتدخل العقل في صياغة محتوى الإلهام أو توجيه عملياته الفجائية، فالإلهام يتم دفعة واحدة مفاجأة وبغتة بحث لا يمكن الوقوف على مراحل منطقية لحدوثه أو سيره، على خلاف العمليات العقلية المألوفة في التفكير الفلسفي النظري القائم على المنطق أو التفكير العلمي وأبحاثه القائمة على التجريب والاستقراء.

ولقد عرف الإلهام باعتباره أحد المصادر الرئيسية القديمة للأفكار والمعارف والفنون الإنسانية المختلفة، قبل تطور العالم، أي قبل ظهور النزعات التجريبية العلمية؛ لذا ترجع أغلب الأفكار الدينية عمومًا، والصوفية خصوصًا، إلى "الإلهام"، ومثلها الفلسفات المثالية التي أقامها الفلاسفة على نفس مبدأ القسمة الثنائية في تصورهم للكون والوجود، ويضاف إلى الفلسفة والدين سائر الفنون التشكيلية المعروفة.

والمهم هنا هو أن القول بالإلهام يمثل اتجاهًا في تفسير ظاهرة العبقرية يسلكه فئة من العلماء والكتاب يعتبر الشخصية العبقرية شخصية تعتمد في عبقريتها على المدد الخارجي المجهول من العالم غير المنظور والذي يسميه البعض بالإلهام.

ونفس هذا الاتجاه لا يعتبر "خبرات النفس العبقرية" خبرات ذاتية يمكن اعتبارها محصلة تفاعل العقل والبيئة، بل يعتبر هذا الخبرات

طارئة مستمدة من عالم آخر يستمدها الشخص العبقري ويستعين بها لإظهار عبقريته، وهم يذهبون إلى أن الفضل الأوحد للعبقري هو قيامه بتهيئة ذاته وإعدادها حتى تصلح لاستقبال هذا الوحي "الإلهام".

ومن الواضح أن أصحاب هذا الاتجاه من المثاليين عمومًا، والمتصوفة خصوصًا، على أن أقوالهم في تفسير العبقرية بالإلهام والدور المحدود الذي وصفوه للعبقري يجعلنا نتذكر آراء متصوفة الإسلام في "النفس" حيث يشبهونها بالمرآة التي يجب على الإنسان المواظبة على جلوها وتنقيتها باستمرار حتى تصلح لتلقي التجليات الإلهية والمعارف والخبرات اللدنية[٦].

وعندما كتب الإمام أبو حامد الغزالي مؤلفه "تهافت الفلاسفة" إنما كان يناصر القول بالوحي والإلهام ويرجح كفتيها على كفة العقل والفلسفة، لكنه كان مثل فلاسفة اليونان ينسب الإلهام إلى مصدر غيبي إلهي، والحق أن نظرية الإلهام قد شهدت لها ظهورًا بعد عصر الفلسفة اليونانية والعصر الوسيط لدى الشاعر الفرنسي "بول كلوديل" الذي تمثل الإلهام لديه في شكل "حدس ديني" أو كشف صوفي، ثم امتد أثر هذه النظرية كذلك إلى "نيتشه" الذي يقول:

"إن الإلهام يشبه البرق المفاجئ الذي يسمح للعبقري (الفنان) بالرؤية؛ لأنه يضيء له الطريق". ونفس الاعتقاد نجده أيضًا عند "فيكتور هيجو" أو الشاعر الإنجليزي "كلوريدج"، فكل منهما يعلق أهمية كبرى على دور العاطفة والحلم والوجدان وعلاقتهم بالإلهام.

وبرغم الاتفاق العام بين أنصار نظرية الإلهام، إلا أنهم قد اختلفوا فيما بينهم على الكثير من التفاصيل الدقيقة الخاصة بالنظرية، فمنهم من ينسب الإلهام إلى عالم غيبي، ومنهم من ينسبه إلى الوجدانية والعاطفة والحلم، وبعضهم يشبّه الإلهام "بحلم اليقظة".

---

(6) رحلة مع الله: الصوفية والتصوف، للمؤلف ١٩٩٤.

وبرغم هذا فالإلهام عندهم جميعًا "حالة نفسية" مفاجئة للشعور والعاطفة مغايرة للنسق النفسي العادي للإنسان، وتؤدي هذه الحالة النفسية إلى تغيير مفاجئ في الوعي والشعور والتفكير، مما يؤدي إلى اكتشاف جوانب جديدة غير عادية أو غير تقليدية للعالم وموضوعاته من خلال رؤية إبداعية.

أما الأمثلة التي يمكن أن نضربها والتي يستدل بها أنصار "نظرية الإلهام" من الواقع التاريخي فهي كثيرة، ومن أمثلته: الموسيقي العالمي الشهير "بتهوفن" المولود سنة (١٧٧٠) والذي مات سنة (١٨٣٧) فمن المعروف عن بتهوفن تمسكه بهذه النظرية واعتقاده الجازم فيها حتى أنه قرر يومًا بأن موسيقاه ما هي إلا ضرب من ضروب الوحي أو الرؤى التي تشبه الأحلام.

وهناك أيضًا الموسيقي العالمي "فاجنر" المولود سنة (١٨١٣) والمتوفى سنة (١٨٨٣) الذي قرر أنه عندما وضع افتتاحية "راينجولد" الشهيرة قد استولت عليه ضروب من النعاس والغيبوبة ثم استيقظ وهو يحس كأن أمواجًا تتلاطم على مقربة منه، وشعر كأن موسيقا هذه الافتتاحية كامنة في نفسه[٧].

ومن الظواهر العجيبة بالعبقرية المستندة إلى "الإلهام" ظاهرة "النبوغ المبكر" وهي ظاهرة يختص بها قلة من الأطفال يبرر نبوغهم الخارق ما يسمى "الإلهام الروحي".

وقد يتوسع البعض في تفسير "الإلهام الروحي" نفسه حتى يشمل ظواهر روحية أخرى كالهيمنة أو الاستحواذ أو حتى التقمص والعودة للتجسد، لكننا نكتفي -في هذا الوضع- بالوقوف عند هذه الظاهرة وتجلياتها في بعض "العباقرة" من أصحاب النبوغ المبكر على سبيل الاستشهاد بما للإلهام من دور في حياة العباقرة.

([7]) مصطفى الكيك: تناسخ الأرواح، ص ٩٩، منشأة المعارف.

ومع ذلك لا ينبغي أن يفوتنا في هذا المقام أن نقول إن ظاهرة "النبوغ المبكر" تستحق أكثر مما تتسمى به لما يكتنفها من المظاهر الخارقة سواء البدنية أو الذهنية، فالأطفال الذين يمتازون بهذا النبوغ تظهر لهم قدرات خارقة تتجاوز بكثير مراحل أعمارهم الحقيقية ومن هؤلاء الأطفال العباقرة نذكر مثلاً:

*** فولفجانج أماديوس موتسارت:**

الموسيقي النمساوي الشهير المولود سنة (١٧٥٦) والذي مات سنة (١٧٩١) والذي ألّف عددًا من السيمفونيات والأوبرات الشهيرة، وكانت أول سيمفونية من تأليفه وضعها وهو في الثامنة من عمره، وعندما بلغ العاشرة عيّن رئيسًا لفرقة الموسيقى في "سالزبورج"، وقبل أن يبلغ الرابعة عشرة كانت مؤلفاته الموسيقية قد بلغت عشرين أوبرا وسيمفونية، وقد ظهر نبوغه المبكر في سن الرابعة عندما لوحظت براعته الشديدة في عزف الأرغن(٨).

*** جون استيوارت مل:**

الفيلسوف الإنجليزي الشهير الذي ولد سنة (١٨٠٦) ومات سنة (١٨٧٣) وهو علم من أعلام الفلسفة السياسية والمنطق والإصلاح الاجتماعي، ومن ظواهر نبوغه المبكر أنه درس اليونانية وعمره ثلاث سنوات، وتعلم اللاتينية في الثامنة من عمره، كما قرأ هيرودوت وأفلاطون في هذه السن أيضًا، ثم ألمّ بالفكر الفلسفي اليوناني كله بين الثامنة والحادية عشرة، ولم يتجاوز "مل" الرابعة عشرة إلا وقد درس الاقتصاد السياسي وألم بدراسات أخرى متنوعة في العلوم الطبيعية والتاريخ والأدب.

---

(8) نفس المصدر: ص ٩١.

أما "شوبان" عبقري الموسيقا، فمن المأثور عنه أنه عزف أول كونشرتو له أمام الجماهير قبل أن يبلغ التاسعة من عمره.

والأمثلة كثيرة منها: "فيكتورهيجو" الروائي الشهير الذي حصل على جائزة أكاديمية "تولوز" وهو في الثالثة عشر من عمره، ومنها "بلير بسكال" الفيلسوف الرياضي الذي عرف عنه النبوغ المبكر في الرياضيات والذي نشر مؤلفه الشهير "مفصل الأشكال المخروطية" وهو في السادسة عشرة من عمره، ومنها الرسام الشهير "وليم بليك" الذي عرف عنه نبوغه المبكر في الفن التشكيلي، لكن "بليك" على وجه الخصوص يحتاج منا إلى وقفة؛ لأن الإلهام عنده كان أكثر وضوحًا في ارتباطه بالقوى الغيبية، وعلى وجه الدقة بالأرواح والأشباح. ومن المعروف عن "بليك" اهتمامه الشديد بالدراسات الروحية واعتقاده الجازم في صدق الرؤى التي كانت تظهر له أثناء اليقظة، ومنها كانت تتجسد أمامه أشكال مختلفة لبشر أو شخصيات تاريخية شهيرة أو حيوانات أو حشرات، وكثيرًا ما كان "بليك" يطلب من تلك (الأرواح) أن تظل أمامه لبرهة حتى يتمكن من رسمها أو الانتهاء من وضع "اللوحات التخطيطية" لها على الأقل، ويزعم "بليك" كما يزعم بعض من يعرفونه جيدًا أن هذه (الأرواح) كانت مطيعة راضية مبتسمة وتظل واقفة أمامه بالفعل حتى ينتهي من رسمها.

وفي الغالب كانت رؤى "بليك" تأتيه في ساعات متأخرة من الليل، وكان الإلهام الفني يواتيه فيما بين التاسعة أو العاشرة مساء حتى الواحدة أو الثانية صباحًا وربما حتى الثالثة أو الرابعة صباحًا، بينما كان "فرلي" جالسًا إلى جانبه هاجعًا أو مستيقظًا، وكان "فرلي" يقول مثلاً: "ارسم لي صورة النبي موسى أو داود النبي"، أو ربما كان يطالبه برسم مشابه ليسوع المسيح أو لأحدى الشخصيات التاريخية الأخرى العظيمة.

وكان من عادة "بليك" أن يجيب قائلاً: "ها هو". ثم يأخذ في الرسم بينما تكون الورقة والقلم الرصاص بيه يديه، وكان ذلك يتم بأكثر خفة ورباطة جأش، كأن هناك في الواقع شخصًا جالسًا أمامه، وكان الموقف يتطلب من "بليك" في بعض الأحيان أن ينتظر حتى يظهر "الشبح" الذي لم يكن يأتي على الإطلاق في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى كان "بليك" وهو منهمك في رسم الوجه يكف فجأة عن الاستمرار، ثم يقول بلهجته الهادئة المعتادة، وبنفس رباطة جأشه الحقيقية: "إن السماء تمطر ولا أستطيع الاستمرار، لقد ذهب، يجب على أنتظر حتى يعود مرة أخرى"[٩].

لكن هل يكفي "الإلهام" وحده حقًّا لتفسير ظواهر النبوغ المبكر والعبقرية؟

الإجابة هنا يقدمها كثير من العلماء الذي يقررون أنه بعد الاستقصاء قد تبين أن النبوغ في الموسيقا –مثلاً– يظهر عادة في صاحبه قبل بلوغه العاشرة، ويكاد يبلغ قمته في السادسة عشرة، ويؤكدون أن الوراثة أكثر ارتباطًا بالموسيقا منها بسائر الفنون الجميلة، وأن ظهور المواهب الموسيقية في سن مبكرة راجع إلى أنها لغة العواطف وهي لغة يولد بها الطفل، ويؤيدون ذلك بظهور نوابغ موسيقيين في أسرة "باخ" المشهورة وذلك خلال خمسة أجيال متعاقبة بغير توقف[١٠].

أما "عبد العزيز جادو" فيقرر في "العودة للتجسد" أن هذا النبوغ المبكر عند الأطفال هو حصيلة غدد شاذة، وبالأخص الغدة النخامية والغدة فوق الكلية وتلك الغدة بالغة الصغر المسماة بالغدة الصنوبرية في المخ.

([9]) يوسف ميخائيل أسعد: العبقرية والجنون، ص ١١٦.

([10]) الكيك، مصطفى: المصدر السابق، ص ٩٧.

إذن، الوراثة من جهة والتكوين النفسي من جهة أخرى يتكاتفان معًا لتهيئة الشخص وإظهار عبقريته، وقد يكون الإلهام أحد وسائل العبقرية، إلا أن الإلهام نفسه يحتاج إلى "نمط نفسي" لا يتوافر إلا لتكوين نفسي معين هو ذاته التكوين النفسي المألوف للشخصية العبقرية.

ومع ذلك تحتاج "نظرية الإلهام" منا إلى وقفة أخيرة لمعرفة أسباب عدم كفايتها لتفسير العبقرية.

*** نقد نظرية الإلهام:**

فشلت هذه النظرية تمامًا في الإجابة عن السؤال الأساسي الذي يشكل محور البحث عن العبقرية، فهي لم تقدم لنا التعريف المناسب للعبقرية، بل تجرأت كذلك على تجاوز الواقع عندما نسبت العبقرية إلى عالم فوق الواقع، واعتبرت مظاهر العبقرية البشرية مجرد تجليات شبحية لنموذج العبقرية المطلق في عالم مثالي. ونستطيع أن نعدد أخطاء هذه النظرية فيما يلي:

١. تعليل العبقرية تعليلاً ينسبها إلى عالم غيبي ويحررها من بشريتها وكافة الخصائص الإنسانية التي تميزها.
٢. نسبة "نتائج العبقرية" كالإبداع الفني إلى قوى غيبية، غير إنسانية، متعالية على الواقع، فأنكرت بذلك دور "العبقري" في الابتكار والإبداع والتأليف والتجديد.
٣. تصويرها لحالة الإبداع على أنها حالة لا شعورية يخرج فيها العبقري عن وعيه وعقله وتتقمصه قوى غيبية تملي عليه ما تبدعه هي، فيكون دوره بذلك مقصورًا على مجرد الترجمة أو النقل أو الإبلاغ عن هذه القوى الخفية المتعالية.

٤. تعتبر هذه النظرية أن العبقرية "مثالها المطلق" في عالم المثل، وهي من ثم ظاهرة غير نسبية تنتفي عنها صفة الإنسانية والنسبية معًا؛ لذا فقد ربطت هذه النظرية بين "العبقرية" من جهة وبين "القيم الأخلاقية" مثل الحق والخير والجمال من جهة أخرى، مما جعل للعبقرية من منظورها وظيفة تطهيرية دينية.

٥. اعتبرت هذه النظرية أن العبقري والفنان كائن مقدس أو هو موجود إلهي على حد قول "أفلاطون" وهذا يعني أنه كائن مغاير للواقع، أعلى من الإنسان، منفصل عن العالم، برغم كونه مجرد أداة في يد قوى غيبية تملي عليه إبداعها الذي لا فضل له فيه سوى نقله وإبلاغه للبشر، أي أن العبقري هنا مجرد وسيط بين عالمنا المادي وعالم آخر غيبي غير منظور.

وإضافة إلى ذلك يختلف هذا الوسيط عن سائر البشر في امتلاكه خصائص تؤهله لتلقي الوحي والإلهام والاتصال بالعالم الغيبي غير المنظور وفقًا لاستعداداته الخاصة التي يمتاز بها عن سائر البشر.

وهذا التناقض الواضح بين اعتبار العبقري (الفنان) موجودًا إلهيًّا وبين اعتباره كائنًا مسلوب الإرادة والوعي هو تناقض كفيل وحده بهدم نظرية العبقرية والإلهام من أساسها، إذ ليس من المعقول أن نتحدث عن "آثار العبقرية" باعتبارها "نتاجًا بشريًّا" في الواقع، ثم ننسب هذا النتاج إلى كائن غيبي، أو حتى إلى كائن مسلوب الإرادة والوعي.

وإذا كان الفن والإبداع من النتائج المرتبطة بالعبقرية ارتباطًا وثيق الصلة، فليس من المعقول أن نتحدث عنها ونحن ننسبها إلى موجود لا وعي له ولا قدرة له على الخلق والإبداع والابتكار، وهو ليس أكثر من أداة طيّعة تسجل ما يُملى عليها.

فإذا كان الفن "فكرة" يجب تجسديها في إطار يحتوي المضمون الفني، فإن هذا التجسيد يقتضي وجود الفنان القادر على استخدام

القوالب الفنية، والموهوب موهبة تمكنه من تنفيذ أفكاره وإبداعاته، إذ لا فن بدون عمل وتنفيذ وقدرة على الخلق الذاتي.

نرى -إذن- إن هذه النظرية بإنكارها لدور الفنان أو العبقري، وتصويرها لحالة الإبداع غير الواعية قد هدمت نفسها بنفسها ولم تقدم الإجابة الكافية عن الأسئلة التي تطرحها مشكلة العبقرية، وكل ما حاولت النظرية أن تفعله هو تفسير العبقرية والفن دون النظر إلى العوامل الواقعية، والإنسانية، والجوانب العقلية والحسية للإبداع الفني. وبذلك لا تعتبر هذه النظرية إضافة حقيقية مفيدة في تاريخ البحث العلمي، وإن شكلت خطوة هامة في تاريخ الفكر الفلسفي القديم والوسيط.

لكن الغالب أن ينظر العلماء إليها اليوم باعتبارها نظرية رجعية، لأنها في تفسيرها لحالة الإبداع أكدت غياب الوعي والعقل، وأكدت أكثر غيبوبة الفنان أو العبقري، واستسلامه لإرادة وقدرة قوى غيبية، فهو في عالم من الغيبوبة والخيال.

ومن الواضح أن الاعتماد على الخيال وحده-وإن كان أحد مقومات العبقري- في تفسير العبقرية والإبداع ليس كافيًا، إذ الخيال في الغيبوبة كالحلم غير مترابط وغير منتظم، والحلم يصدر عن اللاشعور الذي لا يمكنه أن يشرف على عمليات تنظيم الإبداع من البداية إلى النهاية.

-إذن- ليس الخيال وحده أو الحلم وحده يمكن أن نفسر بأحدهما أو بهما معًا ظاهرة العبقرية أو الفن كأثر من آثار العبقرية، إذ نحن جميعًا نتخيل أو نحلم، لكن مهما تفاوتت قدرة التخيل وسعة الحلم، فإننا لسنا جميعًا عباقرة؛ ذلك أن الأهم في العبقرية هو عنصر آخر غير الخيال أو الحلم وهو عنصر "التنظيم"، أعنى تنظيم المادة التي هي موضوع الإبداع أو الفكر أو العلم تنظيمًا يكشف جوانبه الجديدة.

والتنظيم هنا جهد عقلي يتميز بالوعي الفائق الذي تحركه وتدفعه إرادة حرة مبتكرة، وإلى هذا الوعي وتلك الإرادة يمكننا أن ننسب أي عمل مبدع أو عبقري.

أما نظرية الإلهام فإنها إلى جانب إنكارها لدور العبقري أو الفنان فهي أيضًا وبالضرورة تنكر ما للعوامل الأخرى المؤثرة في العبقرية وآثارها عن دور لا يجب تجاهله؛ من ذلك أفكارها للعوامل السيكلوجية، أو الفسيولوجية، أو الاجتماعية، أو البيولوجية.

والخلاصة: أنها تنكر كافة العوامل ذات الصلة بعالمنا الواقعي وتكتفي بالارتكان إلى العالم غير المنظور الذي تجعل منه سببًا وحيدًا لكافة الظواهر الحادثة في عالمنا، وفي مقدمة تلك الظواهر ظاهرة العبقرية وما يتبعها من نتائج وآثار.

الفصل الرابع

جنون العباقرة

ارتبطت العبقرية بالجنون منذ قديم الزمن لأسباب عدة:

قد تكون هذه الأسباب تاريخية، ترجع في مصدرها إلى التفسير "التاريخي- اللغوي" الذي يربط بين لفظ "عبقرية" وبين لفظ "عبقر" وهو الوادي الشهير للجن عند العرب، ونفس التفسير يعني بالجن الخبل أو الجنون.

وقد تكون هذه الأسباب نفسية مصدرها اضطراب نفسي أو خلل عصبي أو فسيولوجي مؤثر نفسيًا وعصبيًا بحيث يصبح الشذوذ نتيجة طبيعية ملازمة للعبقرية، وهذا ما يعتقده علماء النفس الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تحليل الشخصية العبقرية، إذ لاحظ عدد غير قليل من العلماء أن الصلة بين العبقرية والمرض النفسي أو المرض العقلي صلة ثابتة عند أغلب العباقرة، وهي إلى جانب ذلك صلة تؤيدها الشواهد الكثيرة المأخوذة عن دراسة حياة وأمراض العباقرة.

ويذكر علماء النفس أن "التناقض" من أبرز السمات الناتجة عن "الاضطراب النفسي" لدى العظماء والعباقرة، ويضربون لذلك مثلاً بشخصية "فرنسيس بيكون" الفيلسوف الإنجليزي المولود سنة (١٥٦١) والذي مات سنة (١٦٢٦) ومن أشهر مؤلفاته كتاب "تقدم العلم"، فقد بلغ التناقض أقصى مبلغه في شخصية "بيكون" التي جمعت بين العلم والفلسفة (نظريًا) وبين الفساد والخيانة والإشراف على تعذيب السجناء في غرف التعذيب الشهيرة في البلاط الملكي نفسه، فاعتبره العلماء مثلاً على التناقض بين الفكر والسلوك.

أما الشخصية الأخرى التي يعتبرها علماء النفس أيضًا من الأمثلة الصالحة للدلالة على "تناقضات العبقرية" فهي شخصية الفيلسوف الفرنسي المعروف "رينيه ديكارت" المولود سنة (١٥٩٦) والذي مات سنة (١٦٥٠) ومن أشهر مؤلفاته كتاب "المقال في المنهج" وكتاب "مبادئ الفلسفة".

فقد كان "ديكارت" فيلسوفًا مسيحيًا (مؤمنا) لكنه لا يتورع – مع ذلك – عن إنشاء علاقات غير شرعية بالنساء قد تصل إلى حد إنجاب الأطفال غير الشرعيين الأمر الذي يتنافى بل يتناقض مع الإيمان المسيحي. لكن هذا التناقض نفسه هو الذي سمح لديكارت أن يعتقد إنه قد أُوحي إليه بفلسفته من الله في رؤية منامية شهيرة!!

لكن إلى جانب "التناقض" هناك أنواع أخرى من الشذوذ تصل في بعض الأحيان إلى حد الجنون، ومن ذلك الشذوذ الذي اشتهر به الفيلسوف الفرنسي "فولتير"، فقد أثر عن هذا الفيلسوف عشقه الشديد للثروة وجمع المال رغم ما أثر عنه من الدعوة لأعظم الأفكار وأسمى المبادئ، لكن الأعجب من ذلك هو العادة التي اعتادها "فولتير" كلما عنت له الكتابة أو واتته لحظة التأليف، فلقد اعتاد "فولتير" أن يجلس إلى طاولة الكتابة وأمامه اثنا عشر قلمًا من الرصاص على وجه التحديد، ولم يكن ليبدأ عمله إلا إذا توافرت هذه الأقلام، فإذا انتهي من عمله كسر جميع الأقلام الرصاصية وقام بلفها بما كتبه ووضعه تحت رأسه قبل النوم!!

والحق أن شذوذ (فولتير) مجرد شذوذ من النوع الخفيف، وهو بالفعل يندرج تحت قائمة مسميات وأنواع الشذوذ لمجرد أننا نتعجب أو لا نستسيغ تلك الأعمال أن هذه العادات، لكن الأمر يختلف عندما نتعرض لشخصية أخرى من أشهر الشخصيات الفلسفية وهي شخصية الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" الذي ولد عام (١٧١٢) وتوفي عام (١٧٧٨) وأشهر مؤلفاته كتاب "العقد الاجتماعي" وكتاب "الاعترافات". نقول إن الأمر يختلف في حالة "روسو"؛ لأنه من الثابت عندنا وفقًا لكثير من المراجع النفسية أن روسو كان يعاني بالفعل من "جنون الاضطهاد"، وقد بلغ هذا المرض حدًا جعله يلقي بأولاده جميعًا

وهم خمسة أولاد في أحد الملاجئ المخصصة لرعاية اللقطاء، وأكثر من هذا كان "روسو" يحيا حياة مليئة بالمخاوف المرضية التي تصورها له أوهامه عن الاضطهاد. فكان يعتقد أن الظواهر الطبيعية تحاول تدميره والقضاء عليه، وكان يتصور أن الصواعق والبروق موجهة خصيصًا إليه من الله لقتله، وأن كل تصرف ممن يحيطون به إنما يقصدون منه القضاء عليه؛ لذا كان "روسو" يقوم بإعداد طعامه بنفسه، ولم يكن ليجرؤ على تناول أي طعام أو شراب يقدم إليه مهما كانت درجة قرابة الذي يقدمه إليه!!

لعل أقرب الشخصيات العبقرية إلى "روسو" من حيث اشتراكهما في نفس "المخاوف المرضية" شخصية الفيلسوف الألماني "آرتور شوبنهور" الذي ولد عام "١٧٨٨" وتُوفي عام "١٨٦٠" وأشهر مؤلفاته كتاب "العالم كإرادة وفكرة".

ولقد أشتهر "شوبنهور" بالكآبة والعزلة والتشاؤم، ولذا لقب "بفيلسوف الألم" وقد بلغ تشاؤمه حدًّا جعله يصرح بأن الرجل العظيم ليس القائد الفاتح بل هو الرجل الذي يفضل الموت على الحياة.

أما "تشارلز ديكنز" الذي ولد عام "١٨١٣" وتوفي عام "١٨٨٠" فقد كان أشهر كتاب القصص الإنجليزية، وقد ترجمت أعماله العالمية إلى كثير من اللغات وأشهرها "ديفيد كوبر فيلد" ثم "أوليفر تويست".

والحق أن شخصية ديكنز كان لها أبلغ الأثر في أعماله، فقد أشتهر ديكنز بغرابة الأطوار وسرعة الغضب والتشدد الذي يبلغ حد "التسلط الأبوي" في نطاق الأسرة. لكن الأمر مع الأصدقاء كان يختلف تمامًا، فقد كان ديكنز مشهورًا بالمرح مع الأصدقاء، وكان هذا المرح في كثير من الأحيان يأتي ممزوجًا بغرابة الأطوار حتى إن أصدقاء ديكنز كانوا يتوقعون منه أن يزورهم في أي وقت من الليل حيث يدخل

من النوافذ ليفاجئهم وهو في ثياب تشبه ثياب البحارة، وكان من عاداته الغريبة عادة "التجوال الليلي" حيث يخرج من بينه ليمشي في أي اتجاه لمسافات طويلة، فإذا ما خطر له صديق قرر زيارته فجأة، ولم يكن ديكنز من طراز الرجال الذين يهتمون بالأناقة أو الانسجام اللوني في ثيابهم أو حتى آداب الإتيكيت، وكان – على الجملة – يفتقد إلى الاتساق النفسي مع الذات والحياة، وكان هذا الاغتراب يساهم في تشكيل رواياته وأسلوبه القصصي بشكل واضح.

فإذا كانت غرابة أطوار ديكنز لم تصل إلى حد الجنون فإن "نيتشه" الفيلسوف الألماني الذي ولد عام "١٨٤٤" وتوفي عام "١٩٠٠" قد بلغ هذا الحد، وتجاوزه فعلاً وظل معايشاً لحالة الجنون الفعلي لفترة بلغت اثني عشرة سنة قبل موته.

ويعتبر "نيتشه" من مؤسسي النزعة القومية الجرمانية، وهو صاحب مذهب "فلسفة القوة" الذي تأثرت به أجيال عديدة من شباب وأدباء وفلاسفة الغرب، وهذا المذهب تقوم أسسه على مذهب التطور الطبيعي، حيث جعل "نيتشه" من الإنسان الأعلى "السوبر مان" هدفًا له. وقد ترك نيتشه عددًا من المؤلفات الفلسفية الهامة الجريئة ومنها: "هكذا تكلم ذرادشت" و"مولد المأساة"، ثم "ما وراء الخير والشر" .... وغيرها.

أما حياته قبل الجنون فقد قضاها في عزلة عن المجتمع، وكان عدوًا للمرأة خجولاً إلى أقصى حدود الخجل، ولم يخرج نيتشه من عزلته الاختيارية إلا إلى عزلة الجنون الفعلي الإجبارية.

أما "أينشتاين" أشهر علماء هذا القرن في الفيزياء والذي ولد عام "١٨٧٩" وتوفي عام "١٩٥٥" فقد كان في غرابة أطواره قريبًا بعض الشيء من ديكنز لكنه لم يبلغ حد الجنون الذي بلغه "نيتشه".

ومن المعروف إن "أنيشتاين" رغم كونه أمريكيًا إلا أنه ولد في ألمانيا، ولم يتوصل إلى نظرية النسبية إلا سنة (١٩١٦) وهي النظرية التي حصل بها على جائزة نوبل في الفيزياء سنة (١٩٢١).

وبالطبع كان "أنيشتاين" من العقول الجبارة المبدعة في مجال الفيزياء، حيث كان قوى الذهن منظم التفكير إلى أبعد الحدود، ولكنه مع ذلك كان فوضويًا كبيرًا في حياته الخاصة، وكان بيته يفتقر إلى النظام في كل شيء، ربما يرجع ذلك إلى تحرره الشديد من كافة القواعد التي تحكم العالم والمجتمع، ومع ذلك كان "أنيشتاين" يحيا في هدوء حياة بسيطة، وكان يعشق الثياب القديمة ولا يُعنى بهندامه، كما أُثر عنه الزهد في الثروة والمناصب والألقاب ومقته الشديد للنفاق أو المدح، كما اشتهر بغرابة الأطوار والتصرفات الطفولية التي لا تتناسب مع مكانته العلمية، وكانت أغلب هذه التصرفات تحدث أثناء الاستحمام أو عند مغادرة البيت، ومع ذلك فإن هذا الرجل الذي يتصرف كالأطفال حتى في حضرة الغرباء هو نفسه الرجل الذي قلب المرتكزات الأساسية للعلم الحديث "نظرية النسبية الخاصة" ثم "نظرية النسبية العامة"، والأغرب أن "النسبية الخاصة" لم تجهد ذهن هذا العبقري أكثر من أسبوع واحد!!

وإذا كان (نيتشه) عاش في ظل الجنون الكامل الفعلي (١٢) سنة قبل موته، فهناك من لم يسمح لنفسه أن يصل به الجنون إلى هذا الأمد؛ خاصة وأن جنونه كان خطرًا، وأعني هذا المصور الهولندي الذي عاش في فرنسا "فان جوخ" الذي ولد عام (١٨٥٣) وتوفي عام (١٨٩٠).

ومن المعروف أن "فان جوخ" من أبدع وأشهر الرسامين العالميين الذين عاشوا في ظل الجنون زمنا، وكانوا من أغرب الشخصيات الفنية

والعبقرية، وقد ترك فان جوخ تراثًا فنيًا هائلاً لا يقدر بثمن، لكنه رغم فنه وعبقريته كان غريب الأطوار. شاذًا إلى حد الجنون، بل إنه كان هستيريًا إلى الدرجة التي جعلته في إحدى النوبات الهستيرية يهدد صديقه "جوجان" بالقتل.

ولم يكن هذا التهديد أمرًا عارضًا من الأمور التي يمكن تجاهلها أو احتمال عدم حدوثها فعلاً؛ لأن حياة فان جوخ مليئة بالحوادث التي تجعلنا نصدق أنه كان بمقدوره أن ينفذ تهديده بالفعل إذا خرج من وعيه وشعوره في إحدى النوبات الهستيرية، بل إن بعض هذه النوبات كان لها أثرها على فان جوخ نفسه وأشهرها النوبة التي قطع فيها إحدى أذنيه.

وفان جوخ نفسه عندما أحس أخيرًا بخطورة هذه النوبات وما يمكن أن تجلبه عليه وعلى المقربين منه من المخاطر أطلق على نفسه الرصاص ومات منتحرًا حتى يتخلص من شبح الجنون!

ومن الواضح أن غرابة الأطوار ودرجات الجنون تتفاوت في القوة والضعف بين الشخصيات العبقرية التي تعرضنا لها حتى الآن، لكن يندر أن نجد من العباقرة شخصية واحدة ليس لها مثل هذا الشذوذ أو تأخذ بطرف من الجنون.

ومن الشخصيات المضطربة أيضًا لكن ليس إلى حد الجنون نجد شخصية "موسوليني" الزعيم ورجل الدولة الإيطالي الذي ولد سنة (١٨٧٣) ومات سنة (١٩٤٥).

وموسوليني هو مؤسس الحزب الفاشيستي الاتحادي الذي جمعت شخصيته بين الذكاء والعبقرية من جهة وبين الجنون والجاذبية من جهة أخرى، ولم يكن موسوليني يثق بأحد على الإطلاق، كما كان التملق والإطراء هو الوسيلة الوحيدة للحصول على الثقة، ومن المعروف عنه

كراهته الشديدة لكل من يبدى له النصح أو المعارضة، فهو من الشخصيات الشديدة الثقة بنفسها إلى الحد الذي لم يكن يعترف معه بالخطأ، فقد كان يقول عن نفسه إن موسوليني لا يخطئ أبدًا، وكان يبرهن على ذلك بنجاح تنبؤاته التي قال بها في الكثير من خطبه، وقد كان موسوليني ناجحًا في استغلال نجاح هذه التنبؤات سياسيًّا.

ومع ذلك كان موسوليني في عبقريته غير ملتزم بأي خطط سياسية محددة سلفًا، وقد نجح إلى حد ما بعد التزامه هذا حتى وقع معاهدة لاتران سنة (١٩٢١) لكنه هزم في الحرب العالمية الثانية وقتل.

أما سمات شخصيته فهي الحقد والحسد وتقلب الرأي وعدم الاستقرار والشهوة الدائمة للانتقام، ومع ذلك برع موسوليني دائمًا في ابتكار الوسائل التي يتمكن بها من تزعم الجموع وقيادة الجماهير وتوطيد زعامته الحزبية. (مع الخالدين: سمير شيخاني، ص ٢٣٨).

من شخصية موسوليني وغيرها نستدل على أن الثقة بالنفس لدى بعض شخصيات العباقرة سمة من السمات الهامة اللازمة، لكنها قد تزيد عن حدها فتبلغ الغرور القاتل الذي يدفع العباقرة إلى اعتقادات في غاية الغرابة، وقد تصل في بعض الأحيان إلى حد مخالفة المنطق التقليدي، لكن العباقرة هم أنفسهم صنّاع هذا المنطق، وهم الذي يقررون للعقل سبله، أي أنهم يخضعون العقل العام لعقولهم الخاصة؛ لذا فهم لا يهتمون كثيرًا لغرابة منطقهم الخاص أو اعتقاداتهم الشاذة.

وقد كان "برتراندراسل" يعتقد بأن العباقرة والمبتدعين العظام قد يظنون في أنفسهم أنهم حاصلون على نفحة إلهية أو أنهم أشباه آلهة، وهذا الموقف يقترب من جنون العظمة، وهذا المرض نفسه يتجلى لدى "روبرت أوين" لكن في شكل مخفف[11] وكل هذا قد يكون مبعثًا

([11]) التكوين الروحي: رءوف عبيد، الجزء الثاني ص ١٠٥٧.

للدهشة، لكن الأكثر مدعاة للدهشة والعجب هو أنه عندما شاعت أفكار الروحية وما يرتبط بها من نظريات عن العودة للتجسد، وهي نظريات وأفكار دينية قديمة بعثها البعض من الديانات الشرقية عمومًا والهندية خصوصًا، ومنها عقيدة تناسخ الأرواح؛ نقول عندما بعثت هذه الأفكار من مرقدها تحت تراب التاريخ اندفع بعض المشاهير؛ خاصة من السياسيين إلى القول بأنهم عاشوا قبل حياتهم تلك مرات ومرات ثم ماتوا، وعادوا للتجسد في شخصياتهم الحالية، فاثبتوا بذلك ما بين العبقرية وبين هزيان الجنون من صلة وثيقة.

من هؤلاء نذكر "نابليون" الذي كان يعتقد أنه هو نفسه كان "الاسكندر الأكبر" قبل ذلك، أي في حياة سالفة، وأنه عاد للتجسد في شخصيته الحالية بعد موته[١٢].

أما "هملر" فقد كان مثل نابليون يعتقد أنه قد عاش قبل حياته تلك حياة أخرى انتهت بموته قبل أن يعود للتجسد في الحياة الحالية، وأنه ليس سوى تجسد للملك "هنرى الأول" أول ملوك الساكسون.

ونذكر أيضًا "هتلر" الذي كان يعتقد أنه في حياة سابقة، ثم عاد إلى الحياة بعد موته، أي تجسد في شخصية هتلر، أما شخصيته في الحياة الماضية فقد كانت تحت اسم "تبريوس" ثاني أباطرة الرومان!!

([12]) العبقرية والجنون: يوسف ميخائيل ص ١٢٣.

الفصل الخامس

اختبر عبقريتك

في تعريفنا للعبقرية قلنا إنها -أولاً وأخيرًا- جماع الموهبة والاستعداد الفطري والإبداع والخلق الرفيع والروح الناقد المتمرد والشخصية المتميزة بالذكاء والقدرة على حل المشكلات.

ولما كانت العبقرية تعتمد على الذكاء في جانب عظيم منها فإن الشخصية العبقرية وفقًا للسمات التي تناولناها في البداية، يجب أن تتوافر فيها الذكاء وقوة البديهة والثقة بالنفس، وقوة الملاحظة والقوة النفسية التي تميز "النمط النفسي" المميز للشخصية العبقرية؛ لذا رأينا أن نضم إلى هذا الكتاب مجموعة الاختبارات الرئيسية الخاصة بالعبقرية، وهي اختبارات قوة البديهة، والشخصية، والنفسية، والذكاء.

ويمكن لكل قارئ الاستعانة بتلك الاختبارات لتحديد مكانته أو موقعه الفعلي بين الشخصيات العبقرية.

* اختبار قوة الملاحظة:

ويتضمن أمثلة لكفاءة قدرة الاكتشاف السريع (قوة الملاحظة) فيما يلي:

١- اكتشاف الكلمة الدخيلة في الكلمات التالية: (واحد، سبعة، خمسة، أخضر).

٢- اكتشاف المربع الدخيل بين أربعة مربعات يضم المربع الأول الأرقام:
(٦، ٢، ٢، ٤) والمربع الثاني: (٥، ١، ٣، ٩) والمربع الثالث:
(٦، ٦، ٤، ٢) والمربع الرابع: (٨، ٤، ٦، ٤).

٣- اكتشاف اليوم الذي يتبع الأيام التالية: (أحد، ثلاثاء، جمعة، خميس).

٤- أكمل الأرقام التالية: (١٨٨١، ٢١١٢، ٢٤٤٢،   ،
).
٥- اكتشف المربع الدخيل بين أربعة مربعات يضم الأول الأرقام:(٥، ٨، ٦، ٧) والثاني: (١، ٤، ٢، ٣) والثالث: (٢، ٥، ٣، ٤) والرابع: (٤، ٦، ٥، ٧).

*** النتائج:**

١- أخضر.

٢- المربع الأول.

٣- جمعة.

٤- ٤١١١١٤، ٨٣١١٣٨

٥- المربع الثالث.

وقبل الانتقال لاختبار (حل المشكلات) نستعرض معًا اختبار (قوة البديهة).

*** اختبار قوة البديهة:**

ويتضمن أمثلة لقياس كفاءة سرعة البديهة فيما يلي:

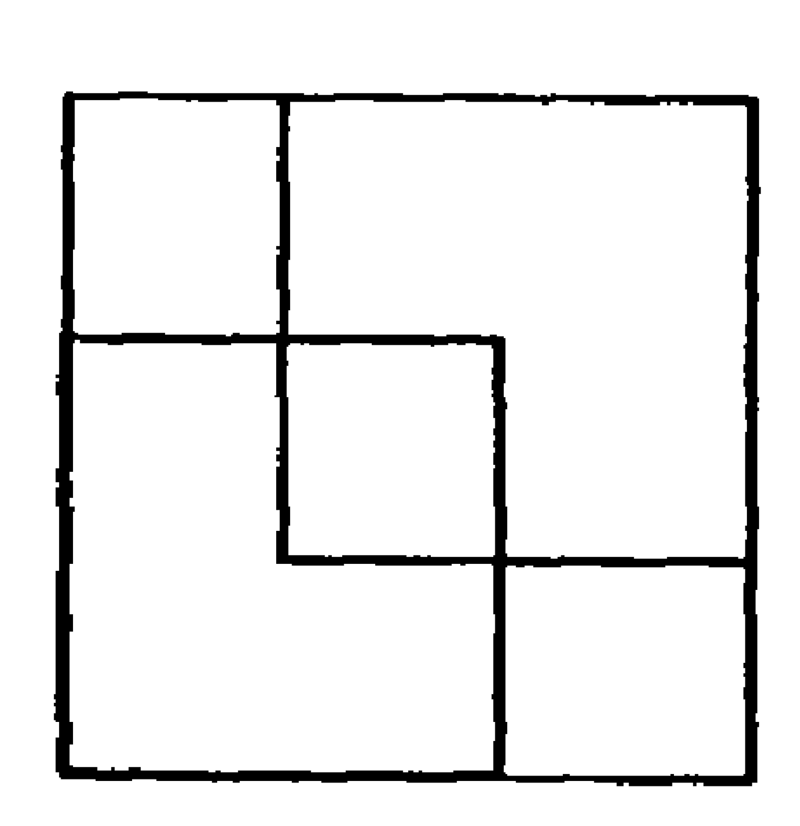
١- اكتشف الرقم الناقص بين الأرقام التالية: (٥، ٣، ١ / ٦، ٤، ٢/ ٧،   ٣).

٢- أكمل الأرقام التالية: (٨، ٣، ٢/ ١، ٤،٧/ ٥،٢،   ).

٣- أكمل الأرقام التالية: (٥، .، ١/٨، ٣، ٤/ ١،   ٧).

٤- أكمل الأرقام التالية: (٧، ٣، ٥/٧، ٣، ٤/   ، . ، ٩).

٥- كم عدد المربعات في هذا الشكل:



* **النتائج:**

١- الرقم ٥
٢- الرقم ٩
٣- الرقم ٧
٤- الرقم ١
٥- ٦ مربعات.

وبعد هذه الاختبارات السريعة يمكننا الانتقال معًا لاختبار حل المشكلات.

* **اختبار حل المشكلات:**

والمقصود منه قياس قدرة الكفاءة الفعلية لحل المشكلات، وكيفية قياسها هو الإجابة عن الأسئلة التي يتضمنا الاختبار، وأمام كل سؤال درجاته التي تحدد حاصل الإجابة، فإذا جمع القارئ حاصل إجاباته عن جميع الأسئلة استطاع تحديد كفاءة قدرته فيما إذا لم تقل عن ٧٥ درجة، ويمكن إجمال أسئلة الاختبار فيما يلي:

	نعم	أحيانًا	لا
١- أميل لمعالجة المشاكل غير المعقدة.	١-	٠	١+
٢- يمكنني تحليل المشكلة بسرعة لكني أبطئ في الحل الفعلي.	٢-	٠	٢+
٣- أغير طريقتي في حل المشاكل بسرعة إذا لم تكن صحيحة.	١+	٠	١-
٤- أتمتع بالصبر وطول البال في معالجة المشاكل التي تحتاج إلى وقت طويل.	١+	٠	١-
٥- أجيد فن التفكير.	١+	٠	٠

٦- لا يمكنني الاعتماد على الحدس في معالجة المشاكل.	-٢	٠	+٢
٧- لست عبقريًا.	-٢	٠	+٢
٨- أمقت الأسئلة الدالة على الغباء.	-١	٠	+١
٩- أحتد إذا منعت من عمل يسعدني.	+١	٠	-١
١٠- تفكيري دائمًا غير مرتبط بإرادتي.	+١	٠	-١
١١- أفكاري جيدة في وقت الفراغ.	+١	٠	-١
١٢- كثرة الأفكار تسبب لي الأرق.	+١	٠	٠
١٣- أتمكن من تقدير حل المشكلة بشكل فردي.	+١	٠	-١
١٤- البحث عن معلومات محددة يثير قدرًا عظيمًا من اهتمامي.	-٢	٠	+٢
١٥- أعتقد في أهمية التفكير المنطقي لحل المشاكل.	-٢	٠	+٢
١٦- إهمال الأفكار المنطقية في حل المشاكل يدل على عدم منطقية الشخص.	-١	٠	+١
١٧- أجمع معلومات كافية عن المشكلة قبل حلها.	+٢	٠	-٢
١٨- لا أطرح أسئلة تؤدي إلي تضييع الوقت.	-١	٠	+١
١٩- لا أهتم بالمشاكل المعقدة أو مستحيلة الحل.	-١	٠	+١
٢٠- مع المشاكل المعقدة أو المستحيلة أجرب حلولاً لا تخطر على البال.	+١	٠	-١
٢١- أراني أكثر من غيري أمام كل مشكلة.	+١	٠	-١
٢٢- اعتقد أن خيالي رحب.	+١	٠	-١
٢٣- مقدرتي على العمل بصرف النظر عن	+١	+٢	٠

حالتي النفسية جيدة.			
٢٤- أملك قدرة التفكير تمامًا كالأطفال.	١+	•	١-
٢٥- أحلام اليقظة تساهم بالأفكار في الحلول والخطط لمشكلاتي.	٢+	•	٢-

* اختبار الشخصية:

والمقصود منه اختبار السمات الايجابية والسلبية والاتساق مع النفس والعالم وقوة التفكير وتكامل الشخصية عمومًا وعدم التناقض بين أفكارها وسلوكها.. وما إلى ذلك، وهو اختبار يتضمن عدة أسئلة عليك الإجابة عليها بنعم أو لا ثم تقدير الدرجات المناسبة كما في المثال السابق وفقًا للدرجات المقدرة لكل إجابة على السؤال الخاص بها. والأسئلة هي:

	نعم	أحيانًا	لا
١- قليلاً ما أندفع وأتسرع في التصرف.	١-	•	١+
٢- في الغالب أفكر قبل الإقدام على الفعل.	١-	•	١+
٣- لا استسلم إذا لم تسر الأمور جيدًا.	•	•	١+
٤- أخضع نتائج أعمالي للفحص.	١-	•	١+
٥- أنا شخص نشيط.	١+	•	١-
٦- ما أفعله ليس بالضبط هو كل ما أريده حقًا.	١+	•	١-
٧- يصفني الناس بالغباء.	١+	•	١-
٨- أتحفظ في تصرفاتي وأحكمها بالعقلانية.	١-	•	١+
٩- أمقت الفشل.	١-	•	١+
١٠- اختلافي عن الآخرين ليس عظيمًا.	•	•	١+

١١- لا يهمني أن أكون غير محبوب من الناس.	١+	٠	٠
١٢- أعتقد أنني أملك حرية أكثر من غيري.	١+	٠	١+
١٣- أعتقد أن التفاخر (أحيانًا) ليس من الأشياء السيئة.	١+	٠	١-
١٤- أعتقد أن عملي منتظم إلى غير حد.	١-	٠	١+
١٥- أعتقد أنني أسعد الناس.	١-	٠	١+
١٦- أعتقد أن أغلب مشاكلي نتيجة التدخل فيما لا يعنيني.	٢+	٠	٢-
١٧- أقدم على المخاطرات حتى غير المضمون نجاحه منها.	١+	٠	١-
١٨- معظم سلوكياتي خاضعة للنقد الذاتي دائمًا.	١+	٠	١-
١٩- أمقت المفاجآت.	١-	٠	١+
٢٠- أنا ضعيف الحماس غالبًا.	٢-	٠	٢+
٢١- قوتي على مواجهة الشدائد أكثر من غيري.	١+	٠	١-
٢٢- في الغالب أميل للوحدة حتى أعالج مشاكلي.	٢+	٠	٢-
٢٣- أتمتع بشخصية معقدة أكثر من غيري.	١+	٠	١-
٢٤- غالبًا ما أفتقر إلى الواقعية.	١+	٠	١-
٢٥- أصر على أهدافي ولو ضحيت براحتي من أجلها.	١+	٠	١-
٢٦- أعتقد أنني منفتح على الناس.	١+	٠	١-

٢٧- أعتقد أن الكمال مسألة نسبية.	١-	٠	٠
٢٨- أحياناً استخدم المناورة لإخفاء انفعالاتي السلبية.	١+	٠	١-
٢٩- أملك قدرة الشذوذ في محاسبة النفس على الفشل.	١+	٠	١-
٣٠- أنا شخص كثير النسيان ضعيف الذاكرة.	١+	٠	١-
٣١- أمقت فوضى المدينة.	١-	٠	١+
٣٢- المشاكل التي تخصني أكثر من مشاكل الناس.	١-	٠	١+
٣٣- نادرًا ما أخطئ في ابتداء أعمالي.	٠	٠	٠
٣٤- أعتقد أنني مفكر من النوع المنغلق على نفسه.	١+	٠	١-
٣٥- أملك قدرة التكيف مع الناس غالبًا.	١+	٠	١-
٣٦- أنا شخص كثير الاعتماد على عواطفه.	١+	٠	١-
٣٧- أملك قدرة الخوض في مشاكل المدينة العامة.	١+	٠	١-
٣٨- غالبًا ما أضع حلول مشاكلي بسرعة وحسم.	١-	٠	١+
٣٩- لا أهتم بالأخطاء التي ارتكبها.	١-	٠	١+
٤٠- أعتقد أن الاستقلال من شروط السعادة الشخصية.	١+	٠	٠
٤١- أثق بنفسي ثقة عظيمة.	٢+	٠	٠
٤٢- استخدم الجرأة في أعمالي.	١+	٠	١-
٤٣- استخدم الحسم لإنهاء مشاكلي.	٢+	٠	٢-

٤٤- غالبًا ما تعم الفوضى مسكني.	١+	٠	١-
٤٥- أعتقد أنني أقوى وأضعف من غيري نفسيًا.	٢+	٠	٢-

* اختبار النضج العاطفي:

وهو اختبار لكفاءة نمو وتطور الشخصية وقياس نضجها في مرحلة الرجولة. ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن الرجولة النفسية أو العاطفية ما هي إلا موقف متزن من مواقف الحياة المختلفة، وهي في الوقت ذاته ليست على طرف النقيض مع المرح والانطلاق على السجية والصدق، وليست كذلك تجسيدًا لسمات سلبية مثل الخشونة والتزمت والتعالي والصلف والغرور، ولقياس درجة النضج العاطفي إليك الأمثلة التالية:

١- هل تسلم نفسك للفشل بسهولة؟
٢- هل تغلبت عليك الكآبة؟
٣- هل تجذب إليك أنظار الآخرين بمختلف الوسائل؟
٤- هل ينتابك الخوف عند مواجهة المشاكل؟
٥- هل تستبد برأيك وتعاند آراء الآخرين؟
٦- هل يحكم الارتباط الأسري علاقتك بأسرتك؟
٧- هل تقر بالخطأ عندما ترتكبه؟
٨- هل تتسم شخصيتك بالاستبداد وحب السيطرة؟
٩- هل تلقي تبعة أخطائك وفشلك على الغير؟
١٠- هل تسمح لنفسك بالانفعال إذا ما ساءك شيء؟
١١- هل تكدر المنغصات التافهة حياتك؟
١٢- هل أنت مصدر استياء للأصدقاء؟

١٣- هل تتملكك الغيرة إزاء نجاح الآخرين؟
١٤- هل تكره الغير أو تفاخر بكراهيتك لهم؟
١٥- هل أنت ناقم على الحياة؟
١٦- هل تشعر بالظلم الواقع عليك وعدم العدل؟
١٧- هل تطمح إلى التقدم بمستواك المعيشي؟
١٨- هل تمقت الانفراد والتفرد؟
١٩- هل سيطر عليك الشعور بضرورة الانتحار؟
٢٠- هل تدفع الآخرين إلى مشاركتك في العواطف؟
٢١- هل تندم كثيرًا على أقوالك وأعمالك؟

ويقول "وليم سرجيوس" في كتابه "علم النفس في خدمتكم" عن كيفية الاستفادة بالاختبار السابق": "اجمع الدرجات التي تعطيها لنفسك فتدلك على النسبة المئوية للطفولة في نفسك، فإذا كانت درجاتك دون العشرة في المائة، فاعلم أنك ناضج من الناحية العاطفية إلى غاية ما يمكن أن يطمع فيه إنسان من النضوج، على إنه إذا أردت حياة صحية مدركة نافعة فينبغي ألا تزيد نسبتك المئوية عن ٢٥%، وأما إذا كانت نسبتك المئوية أعلى من هذه، فاعلم أنك تضع قواك في ناحية من النواحي ومن ثم يلزمك التوقف لتدرس حالتك حتى تتعرف على تلك الناحية وتوقف ضياع نشاطك النفسي فيها".

*** اختبار القوة النفسية:**

وهو اختبار لتحديد مجموع السمات العامة للنسق النفسي، وهي السمات التي تحدد ملامح هذا النسق، على أنه يجب أن ندرك أن القوة النفسية تتحقق خلال السمات الايجابية، وتقل أو تضعف تدريجيًا كلما كثرت السمات السلبية، ولإجراء هذا الاختبار عليك اختيار ١٥ صفة من الصفات التالية:

العبارة		العبارة	
١- النشاط من صفاتي	(٢)	٢١ – مرهف الحس	(٢)
٢- أملك قدرة على الإقناع		٢٢ – أتميز بالشجاعة	(١)
٣- دائم الملاحظة وتتبع الأشياء	(٢)	٢٣ – صاحب ضمير حي	
٤- دائم التتبع للموضة		٢٤ – أتميز بالواقعية	(١)
٥- أثق في نفسي	(١)	٢٥ – صاحب شخصية معقدة	
٦- مثابر		٢٦ – أتميز بالهدوء	
٧- مجدد ومتطور	(٢)	٢٧ – أتميز بالانتظام	
٨- حريص وحذر		٢٨ – صاحب شخصية قوية	
٩- مهووس		٢٩ – أتميز بالحماس	(٢)
١٠- عبقري	(٢)	٣٠- صاحب شخصية عملية	
١١- أناني		٣١- صاحب شخصية منفتحة	
١٢- مستقل الشخصية	(٢)	٣٢ – طماع	
١٣- حسن الخلق		٣٣ – متفهم	
١٤- يقدرني الناس		٣٤ – غبي	(١)
١٥- حاسم		٣٥ – متواضع	
١٦- غير حاسم	(١)	٣٦ – اجتماعي	(١)
١٧- وفي		٣٧ – أمتاز بالمرونة	
١٨- أمقت الكلاسيكية	(١)	٣٨ – متسرع	

١٩- أتميز بالسرعة		٣٩ – انفعالي	
٢٠- أتميز بالجدية		٤٠ – منغلق على الذات	

وقد تم تقدير درجة كل سمة من السمات أمامها فاجمع درجات السمات التي تتصف بها تعرف من أنت ومقدار قوتك النفسية، حيث تم تقدير بعض السمات بدرجة (١) وبعضها بدرجة (٢).

*** اختبار الذكاء:**

إكمالاً لاختبارات قوة الملاحظة وقوة البديهة نورد هذا الاختبار الذي يعتبر نموذجًا من النماذج الكثيرة المتنوعة لاختبارات الذكاء، فقد بني نموذج اختبار الذكاء على اكتشاف المتشابهات أو المتضادات في تركيب مجموعة من الكلمات، وقد بُني على اكتشاف التماثل التشبيهي كما في جملة: "الأب للأم كالزوج للأخضر، للزوجة، للأحمر، للعمل".

وقد يستعاض عن الكلمات بالأشكال الهندسية أو الأرقام، لكن في النهاية يظل الهدف من اختبار الذكاء هو تحديد (درجة الذكاء) بدقة تعين المستوى الفعلي للأداء العقلي بحيث نتمكن من تصنيف الشخص الخاضع للاختبار في مستويات محددة على ضوء التقدير الثابت المعترف به لدى علماء النفس لمقاييس الذكاء، ولكي يتضح موقف العباقرة من حيث درجة الذكاء بالنسبة لباقي أترابهم من الناس، نستعرض فيما يلي توزيع الأفراد إلى فئات في ضوء مستوى الذكاء، والنسبة المئوية التي تحتلها كل فئة بالنسبة لمجموع السكان[١٣]:

([13]) العبقرية والجنون: يوسف ميخائيل أسعد، ص ٢٣.

التصنيف	معدل الذكاء	النسبة المئوية
١. موهوبون جدًا	(١٤٠ – فما فوق)	١
٢. موهوبون	(١٢٠ – ١٣٩)	٢,٥
٣. أعلى من المتوسط	(١٠٠ – ١١٩)	١٦
٤. متوسطون	(٨٥ – ٩٩)	٤٥
٥. أقل من المتوسط	(٨٠ – ٨٤)	١٦
٦. مجموعة بين بين	(٧٠ – ٧٩)	٨
٧. متأخرون عقليًا	٦٠-٦٩ ٥٩ – فأقل	١

والآن نقدم هذه المجموعات من الكلمات، وعليك اكتشاف الكلمة الدخيلة على كل مجموعة بحيث تعطي نفسك خمس درجات لكل إجابة صحيحة، ثم أجمع مجموع درجاتك في النهاية لتقدر مستوى ذكائك:

١- بيروت، بودلير، باستور، شيلي	١٠ – اتجاه زاوية، خط طول، بوصلة
٢- خبز، حلوى، خضر، لحم	١١ – علم الحياة، علم الكيمياء، طيران، علم النفس

٣- وقت، ساعة، دقيقة، يوم	١٢ - بحر، بحيرة، نهر، جزيرة
٤ - جهاز الهواء، الكاربراتير، عربة، جهاز حفر المعادن	١٣ - أهلية، تفوق، امتياز، ثناء
٥- موسيقى، عود، لحن، نغمة	١٤ - شجرة، غابة، حرش، حرجة
٦- ايطاليا، فرنسا، السويد، مصر	١٥ - مباحثة، مناقشة، مجادلة، مغزى
٧ - إدارة، قلاب، بيع، شراء	١٦ - كلية، مكتبة، جامعة، مدرسة
٨ - صراخ، ثرثرة، زعيق، هتاف	١٧ - أحمر وردي، أصفر، أخضر، مظلم.
٩ - ورق، حبر، كتابة، قلم رصاص	١٨ - رعب، مصيبة، خوف، فزع

*** الإجابات الصحيحة:**

وهي الكلمات التي يجب اختيارها واحتسابها في النتيجة الأخيرة لهذا الاختبار. وبيانها كالتالي: (١) باستور (٢) حلوى (٣) وقت (٤) عربة (٥) عود (٦) مصر (٧) قلاب (٨) ثرثرة (٩) كتابة (١٠) بوصلة (١١) طيران (١٢) جزيرة (١٣) ثناء (١٤) شجرة (١٥) مغزى (١٦) مكتبة (١٧) مظلم (١٨) مصيبة.

*** اختبار الثقة بالنفس:**

وهو اختبار يتطلب الإجابة على الأسئلة التالية وبها تعرف مقدار حدود ثقتك بنفسك[١٤]:

١- هل تسير رافع الرأس ثابت الخطى؟

([14]) طريق الشخصية الجذابة: جيمس بندر، ترجمة: عبد المنعم الزيادي.

٢- هل تتحدث إلى الغير بصوت مسموع (واضح)؟
٣- هل أنت مقتنع بإمكان ازدياد مقدرتك؟
٤- هل تركن لحكمك على الأشياء أم تركن لحكم الغير عليها؟
٥- هل ترى أن في وسعك أن تساهم في جعل العالم مكاناً أفضل للعيش؟
٦- هل تحتفظ ببشاشتك واتزانك في الوقت الذي يفقد فيه الجميع بشاشتهم واتزانهم؟
٧- هل تتقدم باقتراحات لتحسين العمل الذي تضطلع بجانب منه؟
٨- هل تعتني بمظهرك وهندامك؟
٩- هل تسيطر على كل جنوح للانغماس في أحلام اليقظة؟
١٠- هل تقدم على حل المشكلات الخاصة بالعمل كلما طرأت مشكلة؟
١١- هل تعتقد أن في استطاعتك بذل مجهود أكبر مما تبذله بالفعل؟
١٢- هل تفعل شيئاً لإزالة مخاوفك وأسباب قلقك؟
١٣- هل تسير على برنامج يهدف إلى تحسين مستقبلك؟
١٤- هل تعلمت أن تحتفظ بهدوئك طوال الوقت؟
١٥- هل تمقت الإخفاق وتتحدى الفشل بمواصلة العمل؟

فإذا كانت الإجابات بنعم فأنت ممن يتمتعون بالثقة بالنفس، وإذا كانت إجاباتك سلبية (بالنفي) على كثر من ثمانية أسئلة، فأنت مهتز الثقة بالنفس وعليك علاج هذه المشكلة بتجنب أسبابها.

الفصل السادس

اكتساب العبقرية

لقد ذكرنا -سابقا- دور الوراثة في توريث بعض السمات العبقرية، لكن يجب أيضًا القول بأن العبقرية كاملة لا تورّث، إذ لابد لها لكي تنمو وتتطور من وسط أو مناخ يعمل على تنميتها، والبيئة التي ينشأ فيها الإنسان تتدخل إلى حد بعيد في تحديد مساره ومصيره.

وفقد ينشأ الإنسان في بيئة من الجهل والفقر والمرض، وفي أسرة يكثر الفساد والانحراف بين أفرادها، ومن ثم يرث هذا الانحراف ولا يجد - بعد الوراثة - من يوجه طاقاته إلى المسار السليم الذي يستغل فيه طاقاته الكبرى كما ينبغي؛ لذا يشب منحرفًا محتذيًا سيرة أهله في الانحراف.

لكن نفس البيئة إذا توافر لأفرادها قدر من الذكاء والتوجيه السليم هي نفسها التي تساعد على النبوغ والعبقرية وتتحول فيها المعوقات إلى دوافع للتحدي والتميز.

الوراثة وحدها إذن، ليست السبب الكامل الوحيد في العبقرية؛ لأن العبقرية لا تورث دفعة واحدة كاملة مكتملة، إنما عمل الوراثة هو مجرد غرس بذور العبقرية ونقلها من جيل إلى جيل.

وعمل البيئة بعد ذلك هو إما تنمية هذه البذور أو إفسادها، ومعنى ذلك أن الدور الرئيسي للبيئة هو أنها تهيئ لنا اكتساب العبقرية بشروط مناخية معينة، وعلينا أن نوفر لأنفسنا المناخ الملائم لتنمية مواهبنا وملكاتنا وقدراتنا حتى تظهر عبقريتنا في مجال من مجالات ظهور العبقرية ووفقًا لمواهبنا الفعلية.

وأول الشروط اللازمة لتوفير هذا المناخ هو أن نعرف أن العبقرية في ذاتها ليست معجزة فوق طاقاتنا أو خارج حدود إمكانياتنا، وأن الذين يحوزونها بالفعل ليسوا أقدر منا عليها؛ لأنها مجرد طاقة ذهنية ونفسية تنمو وتتبلور في ظروف معينة إذا أحسن تنميتها وتوجيهها.

والعبقري الحق لابد أن يعرف أولاً حدود طاقاته النفسية والذهنية، وطبيعة ومجال مواهبه ومسار اتجاهها، أي المسار الذي تظهر فيه تلك المواهب حتى يتمكن من توفير المناخ الملائم لتنميتها وتطويرها وإظهارها.

إن العباقرة لا يولدون أذكى من غيرهم، فجميع البشر يولدون أذكياء، ولهم نفس الطاقات والقدرات، لكن هذه القدرات – ومن بينها الذكاء – لا تنمو إلا في بيئة مناسبة وبشروط معينة لا يعمل الجميع على توفيرها. ويهمل الكثير من الناس توجيه طاقاتهم بشكل مقنن وفقا لبرنامج حياتي شامل يجعل الحياة هدفًا أعظم من الغايات الغريزية أو الروتينية اليومية التي تقيدهم دائمًا إلى صفوف البشر العاديين. وهم يبدءون بالإهمال ثم يستسلمون بعد ذلك للبيئة الاعتيادية التي يكرسها الإهمال وعدم الانتباه الدائم والتي لا توفر المناخ للنبوغ.

وبمعنى آخر، لقد تركوا مصيرهم في أيدي الجموع الجاهلة، وفقدوا –من ثم– سبل التفرد والاستقلال وفرصة الوجود الحق، أي فرصة الإبداع وحريته، بل فقدوا القدرة على الإبداع بفقدهم للاستقلال، إذ ليس الإبداع في النهاية سوى القدرة على مخالفة المجموع بالتجديد والجرأة على الابتكار.

العبقرية –إذن– ليست منحة من منح الوراثة، وليست هبة تهبط على من تختارهم القوى الخفية المجهولة، وإنما هي اكتساب يتحقق بالكفاح والعمل الدائب لتحقيق الذات وتنمية وإظهار مواهبها وملكاتها وتميزها واستقلالها، على أن هذا الكفاح يبدأ فورًا مع اكتشاف العبقرية، لاسيما العبقرية المبكرة لدى الأطفال، مما يلقي على كاهل الأسرة عبئًا ومسئولية عظيمة في التربية، وتربية الطفل الموهوب تختلف عن تربية الطفل العادي بكل تأكيد لما بين هذا وذاك من اختلافات سيكلوجية

يقتضى منا مراعاتها تغيير النمط التربوي حتى يتواءم مع الشخصية الموهوبة منذ الطفولة وحتى نتمكن من تنمية مواهب الطفل الموهوب، ولسوف نجد أن كفاحنا في تنمية مواهبه وقدراته تتوازى مع كفاحه الذاتي الذي يمارسه هو نفسه منذ الصغر وسيدلنا على ذلك سلوكه إذا تنبهنا له.

وفي هذا الصدد يقول "كرولشانك":

إن الطفل الموهوب لا يجب أن ينصب في قوالب سلوكية صارمة، بل يريد أن يجدد في أنماط سلوكه، وفي لغة حديثه، يصبح سريع التبرم بما صار مألوفاً ومما يشيع على الأقلام، وأكثر من هذا فقد يعمد الطفل الموهوب إلى ابتكار الكلمات للتعبير بها عن أفكار معينة[١٥] إذ "يعبر حب الاستطلاع لدى المتفوقين عن رغبة أكيدة للعلم وعن أساس للبحث والإبداع، ويُرسم لهؤلاء الأطفال الخطط ويبتكرون ويجربون الأشياء، ويمتد ابتكارهم إلى كل من العمل المدرسي والملعب، ويميلون إلى إعادة تنظيم بيئتهم وفق صيغ جديدة وذلك عن طريق الصور والرسم والألعاب، وهم يجددون في تخيل أنماط جديدة من الحياة التي يودون لو هيئت لهم وعاشوا، كما أنهم في بعض الأحوال يعيدون تنظيم التاريخ في تمثيليات تلقائية ويلعبون دورًا فيما يرسمونه من أخيلة ويحيكون الأقاصيص والأشعار والأحاديث.

أما مخيلتهم فإنها تقودهم إلى عملية البناء وإلى الاختراع وإلى إجراء التجارب على الأشياء التي تعتبر جديدة عليهم وهم كذلك يتخطون حدود المواد والطرائق كما يتخطون مستوى أعمارهم وحدود خبراتهم ويسبحون بأخيلتهم فيما يتناسب مع أهدافهم البعيدة.

ويتمكن كثير من الأطفال النابهين عن التعبير عما يساورهم من أخيلة في نثر أو شعر أو زجل أو قصص أو غير ذلك".

([15]) يوسف ميخائيل أسعد، السابق ص ١٧٦، نقلا عن كرولشانك.

عبقرية الطفل -إذن- تتضمن التمرد على القواعد والقيود والتحديات الصارمة منذ نعومة الأظافر، وأول ما يتمرد عليه العبقري الصغير هو "السلطة الأبوية الاستبدادية" التي تحاول قتل الموهبة وكبح جماحها وخنقها بالقيود الصارمة، على أنه سرعان ما يمتد هذا التمرد إلى كافة السلطات والقواعد الثابتة خارج نطاق الأسرة حتى يشمل كل ما هو ثابت أو مألوف أو متفق عليه.

إن عملية هدم وإعادة بناء كل شيء في صيغ جديدة من العمليات الجوهرية التي يقوم بها الذهن العبقري منذ الطفولة هي عملية تحتاج إلى جرأة ينبغي أن نساعد أنفسنا أو أطفالنا عليها مهما كانت أهمية الشيء المجترأ عليه لدينا، فالحق أن الشرط الأساسي لكل عبقرية هو التحرر من أسر الصيغ المسبقة لتكوينات الأشياء والقضايا في عالمنا والتمرد عليها ومحاولة هدمها وإعادة إنتاج صيغ جديدة بديلة ومتفوقة عنها، ولولا هذا المبدأ الأساسي لما تطورت سائر المعارف الإنسانية ولظل الإنسان يحيا في الغابات مع أبناء عمومته فوق الأشجار يخشى البرق والصواعق والنار والوحوش ويفسر ظواهر الطبيعة بالخرافات والأساطير ويستعين بالقوى الخفية على قضاء حوائجه وتسيير حياته بدلاً من الاعتماد على نفسه وقواه العقلية.

واكتساب العبقرية -كذلك- يقتضي منا تطوير وتنمية مواهبنا وملكاتنا بعد تحررنا وتمردنا على كافة الصيغ المطلقة والمسبقة التي يحتويها الوجود إذ لا قيمة لتحرر أو تمرد لا يقوده العقل الموهوب نحو شواطئ العبقرية الحقة.

فإذا أردنا تنمية تلك المواهب والقدرات كان علينا أن نعلم أن منبع كافة القوى الإنسانية هو النفس والعقل، وأن الوصول بالمناشط الإنسانية إلى أقصى قوتها لا يكون إلا بتنمية النفس والعقل معًا، أي

بمحاولة الحفاظ الدائم على الاتساق النفسي والتواؤم بين الشخصية والعالم من جهة، ومحاولة تنمية القدرات العقلية من جهة أخرى.

والحق أن العصر الذي نحياه، خاصة في العالم الثالث، يحول بين الإنسان وبين اتساقه النفسي الكامل مع الذات أو مع العالم، غير أن التوتر الناشئ عن عدم الاتساق هذا قد يكون مفيدًا بعض الشيء إذا تلازم مع القوة الكافية للتحدي والإصرار على الاستمرار في صياغة الإنسان لمشروع وجوده الذاتي بشكل مغاير تمامًا للمشروع الوجودي للجماعة التي ينشأ بها.

أما تنمية القدرات العقلية فشيء لا مناص منه، وأهم هذه القدرات "قدرة التحليل" وامتلاك ملكة النقد العقلي وهما من القدرات التي يمكن تحصيلها بالتدريب على تنمية القوى العقلية، فإذا تمكنا بالفعل من امتلاك القدرة التحليلية الناقدة في ظل التوتر الوجودي الناشئ عن نظام العلاقات في عالمنا الثالث كانت تلك خطوة من أهم الخطا تجاه اتخاذ موقف جذري من الحياة والعالم يتحول بعدها جهازنا النفسي والعقلي إلى موقف التحليل والنقد لكل شيء، وما يفتأ هذا النقد أن يتحول إلى تمرد، ثم يتحول التمرد إلى محاولة لإيجاد الحلول والبدائل، أي يتحول الفكر إلى عمل وإبداع هدفه إعادة صياغة الوجود الجمعي بعد التمرد على نمط الوجود الفردي في ثبوته وجموده على كافة المبادئ والقواعد القديمة.

إن التمرد العبقري القائم على الرفض العقلاني لنمط اكتشاف ووجود العلاقات، والعلاقات بين العلاقات في عالمنا هو الذي يحقق التوازن النفسي المطلوب للشخصية الموهوبة التي تعي ضرورة تنمية منابع الموهبة في ذاتها ومنها النفس والوجدان.

إن الغذاء الذي تقتات عليه النفس هو المشاعر والانفعالات، وتنمية النفس تحتاج إلى التحكم في نوع الغذاء النفسي الذي نقدمه

لأنفسنا، فكلما كان الغذاء سليمًا غير فاسد كلما صحت النفس ونشطت للقيام بمهام أهم وأخطر من مهام النفوس الخاملة، ونعني بسلامة الغذاء (المشاعر الإيجابية) التي نحاول التمسك بها وغرس بذورها في أنفسنا عن طريق الإيحاء الذاتي، ومن هذه المشاعر: الثقة بالنفس، والشعور بالقدرة على إنجاز المهام الكبرى.... إلخ، أما المشاعر والانفعالات السلبية فهي أي شعور ينتج عن فكرة تقر في النفس يكون أثرها هو الإحباط أو التقاعس أو الشعور بالنقص.... إلخ.

من الواجب -إذن- أن يصبح همنا الأول هو تنمية تلك الطاقات والإمكانيات لهدف وحيد هو تحقيق الذات، أو على الأدق تحقيق نمط وجود ذاتي متمايز ومغاير لنمط الوجود الجمعي، والتركيز على قوتنا وطاقتنا من أجل إنجاز هذا الهدف سوف يقلل بالطبع من اهتماماتنا الأخرى التقليدية بكل ما هو اعتيادي أو متفق عليه، على اعتبار أن الكثير من المسائل التقليدية أو الاعتيادية ليست ذي بال، أو هي بالأحرى مسائل ليس لها أهمية إلا لدى غير العباقرة، حتى لو كانت تملك المسائل خاصة بمواضعات المجتمع وعلاقاته الاجتماعية وقيمه الجمالية؛ ذلك لأن[١٦] "شكليات النظام تعمل في كثير من الأحيان على مضايقة العبقري، وتجعله في جهد دائم للتخلص من تلك القيود التي تُفرض عليه باسم النظام.

نعم، إن النظام من الوسائل الفعالة في حياة كل إنسان، وهو يعتبر من الوسائل الأساسية التي تؤدي إلى إنتاجية أكبر في وقت قصير وبمجهود قليل، ولكن كثيرًا من العباقرة يحبون أن يخلقوا لأنفسهم نوعًا من النظام يتفردون به، ويكون من ابتكارهم شخصيًّا، لدرجة أنك قد تحسب النظام الذي يضعونه لأنفسهم نوعًا من الفوضى، حيث إنهم مثلاً

([16]) يوسف ميخائيل أسعد: المرجع السابق، ص ١٨٣.

يرتبون المعمل أو المكتبة بطريقة مواتية معينة لا تجد لها صدى في قلوب أو نفوس الآخرين، فقد يكون النظام من وجهة نظرك هو ذلك الذي يتمشى مع الأحجام واتساقها، أو ذلك الذي يجعل الألوان وانسجامها هو الأساس في الترتيب والتصنيف، ولكن الأمر لا يكون كذلك بالنسبة للعبقري، فهو قد يجعل النظام لدية متمشيًا مع المناشط التي يقوم بها غير عابئ بأي اعتبار آخر يتعلق بالشكليات الخارجية التي تتفق مع الجمال (التقليدي) كما يرتسم في ذهنك أو كما تجد له صدى في قلبك.

وقد يكون النظام الذي يرتئيه العبقري منافيًا للذوق الشائع، أو يكون منفرًا للذوق العام، أو غير متمش مع البروتوكول أو مع ما تواضع عليه المجتمع، ولكنه يكون غير ذلك في نظر العبقري.

وكما سبق أن ذكرنا فإن العبقري يفرض ذاتيته البحتة على العمل الذي يقوم به، ولا يأخذ في اعتباره مبدأ التكيف الاجتماعي كمثل أعلى يستهدفه في حياته أو تصرفاته. أكثر من هذا فإن العبقري يجب ألا يتقيد بالواجبات الاجتماعية أو المجاملات اليومية، ويجب ألا نعتب عليه إذا قصّر في أداء الواجبات تجاه الآخرين، وإنك لتجد أقارب العبقري وجيرانه يتضايقون منه في بادئ الأمر، ويعتبون عليه إهماله لشئونهم، وعدم مواساتهم في أحزانهم أو مشاركتهم في أفراحهم، ولكنهم سرعان ما يصفحون عن التقصيرات التي تبدو منه أو إهماله لمشاعرهم، وذلك بعد أن تتبلور عبقريته، ويظهر تفوقه، ويعترف له المجتمع بالتفوق والنبوغ، ويعترف لمجهوداته بالبراعة، ولوقته بالقيمة العالية التي لا ينبغي أن يفرط فيها أو يبددها في الشئون العادية التي يهتم بها الشخص العادي".

إلى هذا الحد يجب أن تصل قوة التركيز على الهدف الأساسي وهو الاهتمامات الذاتية التي تحقق الذات العبقرية نفسها من خلالها،

فالتحرر الذي تحدثنا عنه والذي يبدأ بالتمرد يمتد ليشمل كل شيء دونما جرح أو استثناء، وتحطيم القواعد والثوابت المتعارف عليها مبدأ أساسي من المبادئ التي تحكم حياة العبقري وسلوكه ولا يستثنى من ذلك أي مجال أو جانب من جوانب الحياة العادية.

لكن لا يكفي هذا المبدأ وحده لصياغة حياة العبقري صياغة مختلفة ومتميزة عن حياة الآخرين، فهناك عدد كبير من المبادئ التي تنظم السلوك العبقري وتحكم الحياة العبقرية وتحدد مساره حتى لا تنحرف لحظة أو تحيد عن الهدف الذي يتوخاه العبقري.، فإذا أردت أن تحكم حياتك وتنظمها بتلك المبادئ لتنضم إلى قائمة العباقرة فاتبع النصائح التالية:

- أبدأ فورًا تنمية مواهبك وقدراتك وحدد الوسائل المناسبة لذلك ووفرها بقدر الإمكان.
- لا تستسلم للفشل منذ المحاولة الأولى، حاول مرات ومرات دون كلل.
- لا يجب أن تحتل الأعمال الروتينية مساحة أكبر مما ينبغي في حياتك، أو على الأقل لا تسمح لها أن تطغى على الوقت المخصص للأعمال ذات الأهمية الكبرى.
- إذا انتهيت من عمل لا تعد إليه مرة أخرى إلا إذا شعرت بأن ثمة خطأ فيه يستحق الدراسة حتى تتمكن من تلاشي الأخطاء فيما بعد أو الإقلال منها قدر الإمكان.
- إذا اضطلعت بعمل من الأعمال، لا تفكر في عمل آخر قبل الانتهاء من عملك الأول الذي يجب أن يستحوذ على كل ذهنك واهتمامك وتركيزك حتى تتمه على الوجه الأكمل.
- لا يجب أن تكون الثمار المادية هي كل هدفك في النجاح. واعلم أن نجاحك مرهون بسعيك الدائم لتحقيق قيمتك الذاتية وهي قيمة أغلى من كل القيم المادية.

- لا يجب عليك الاستسلام للشعور بعدم جدوى مجهودك إذا لم تكافأ على هذا المجهود، بل يجب عليك الاستمرار في عملك والإصرار على إظهار تمايزه وتفوقه على أعمال الغير، واعلم أن هذا لا يتم بالأقوال بل بالأفعال والبحث الدائم عن الوسائل الجديدة وبذل المزيد من الجهد في التطوير والابتكار.
- اجعل هدفك الأساسي هو تحقيق النجاح والمكانة الكبرى بين أقرانك، وابحث عن الوسائل التي تحقق ذلك الهدف سواء كانت معنوية أو مادية، واعلم أن نجاحك مرهون بتنمية مواهبك وقدراتك وحسن استغلالك وتوظيفك لها في مكانها الصحيح.
- لابد لك من التسليم بخطأ المثل القائل: "ليس في الإمكان أبدع مما كان" فقمة الإبداع ليست نهائية، بل يليها قمم وقمم لا تبلغها إلا همم لا تعترف بالمستحيل أو قصور الإمكانيات مهما كانت العوائق.
- لابد من الاعتراف بأن المثابرة والمواظبة مع النشاط والنظام في أداء العمل من أهم شروط نجاحه.
- لا تبخس نفسك حق قدرها ولا تعطها أكثر من حقها، وتذكر أنه مازال أمامك الكثير الذي يجب عليك أن تفعله لنفسك أو لغيرك.
- تساءل دائمًا عن جدوى حياتك إذا لم يستفد منها العالم.
- تذكر أن الأعمال العظيمة تحتاج إلى همم أعظم فكن من أهل الهمة تكن من العظماء، واضطلع بالأعمال الكبرى دون الصغرى تكن من أهل الشأن ورفعة المكانة.
- مهما كانت المشاكل كثيرة وعظيمة لا تستسلم لها فمواجهتها وتحديها وإيجاد الحلول لها يزيد قوتك النفسية وينمي شخصيتك وعقلك وقوة تحملك وقدرتك على الاستمرار من أجل تحقيق أهدافك.

- يجب أن تؤمن بأن الأفكار العظيمة العبقرية تحتاج إلى مجهود ذهني في البحث عنها، فهي لا تأتي بالوحي أو الإلهام أو الصدفة، ولكي يثمر مجهودك الذهني يجب أن تتعلم كيف تحصر أفكارك وتنظمها حتى تواجه بها أعظم القضايا وتحللها وتفهمها وتصل فيها إلى نتائج لم يكن ممكنا الوصول إليها من قبل.
- لا تشتت جهودك فيما لا طائل منه أو جدوى.
- استثمر الوقت في تنمية مختلف جوانب الحياة مثل: العمل، الصحة، السعادة، الثقافة، الترفية، الأسرة، ولا تجعل أحد الجوانب يطغى على سائر الجوانب الأخرى، وبذلك تحقق التوازن المطلوب لنفسك وللغير ممن يهتمون بك وتهتم بهم.
- عندما تفكر في مشكلة أو قضية لا تخضع لأيٍ تحليل أو تفسير مسبق لا يصدر عن العقل، وبذلك تكتسب عقلاً موضوعيًا يتسم بالواقعية والمنطقية والفكر العقلاني.
- عندما تكفر في أي مشكلة أو قضية لا تخضع في طريقة التفكير فيها إلا لتفكيرك أنت بشرط أن يكون هدف تفكيرك هو الوصول إلى حلول جديدة مبتكرة أو أفكار لم يصل إليها أحد من قبل.
- إذا آمنت بقيمة المتعة الذهنية المتحصلة من معالجة القضايا الكبرى أمكنك القضاء على الملل الذي يحاول صرفك عن الاهتمام بتلك القضايا ليجعلك بالتالي من ضحايا الاهتمامات التافهة والحياة الضحلة.
- تساءل دائمًا عن أعمالك العظيمة التي قدمتها للعالم، وتساءل عما سوف تقدمه، ثم لا تقف عند حدود هذا التساؤل.. بل ابدأ العمل.

المحتويات



هذا الكتاب

ظلت العبقرية أمدًا طويلاً من الدهر.. من أكثر الأمور المحيرة للعقول.

ورغم أن العبقرية ذاتها ظاهرة إنسانية ، إلا أن العقل الإنساني نفسه قد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة "الخارقة"، وقد حيره أمرها طويلاً، فراح يحاول إيجاد شتى التفسيرات لها ، فنسبها إلى الظواهر الخارقة .

ورغم أن كل منا يملك كثيرا من أسباب هذه الموهبة ، إلا أنها تضيع من أكثرنا بسبب سوء التعليم وقصور التربية.

من هنا تأتي أهمية الدعوة إلى الاهتمام بالطفل الموهوب أو الشاب النابغ.

ونحاول في هذا الكتاب أن نقف على معنى العبقرية، وأن نوقف القارئ معنا على صفات العبقري والصلة التي تربط بين الشذوذ أو الخروج على المألوف وبين العبقرية، ومن ثم نحاول كذلك أن نرسم الملامح العامة للشخصية العبقرية والوسائل التي تعتمد عليها تلك الشخصية في إبراز خصائص تميزها ونبوغها .

ومن أهدافنا أيضًا أن نضع القارئ أمام مجموعة من الاختبارات الخاصة التي يمكنه بها أن يحدد قدراته ومواهبه الذاتية حتى يتمكن بعد ذلك من التقدم النفسي بخطى أسرع نحو اكتساب العبقرية؛ لأننا نؤمن بأن العبقرية من الأمور التي يمكن اكتسابها بتنمية المواهب والقدرات الخاصة للإنسان "الفرد"، ونؤمن أيضا أن العبقرية ليست حـ[illegible] مجموعة من الناس دون غيرهم، وأن بـ[illegible] إنسان أن يحقق تلك العبقرية فيما لو [illegible] نفسه ومواهبه وقدراته الحقيقية وحرص [illegible] تلك المواهب والقدرات في ضوء معرفـ[illegible] اللازم تحققها في الشخصية العبقرية.



